الفصل الثانى

مكونات القبة المدفن

تتكون القبة المدفن من أربعة[1] تكوينات معمارية متطابقة لكل منها تطورها الذى سارت فيه إلى أن بلغت حد النضوج والرقى المعمارى والزخرفى فى عصر سلاطين المماليك ، وهذه التكوينات عبارة عن :

أولاً : فساقى الدفن المبنية فى تخوم الأرض .

ثانياً : يليها فوق سطح الأرض مربع يحدد مساحة القبة .

ثالثاً : يلى ذلك منطقة الانتقال التى تطورت مقرنصاتها من الداخل وتنوعت أشكالها من الخارج .

رابعاً : يلى ذلك الرقبة المستديرة تعلوها القبة التى غشيت بالزخارف المتنوعة من الداخل والخارج .

هذا ويلاحظ أن التكوينات الثلاثة الأخيرة متتابعة فوق سطح الأرض بشكل لا انفصال فيه بخلاف التكوين الأول الذى ينفصل عنهم جميعاً بغلق فتحات منازل الفساقى بالمجاديل الحجرية ، وهذا الانفصال ضرورى من الوجهة المعمارية لأن ظاهر سقف تلك الفساقى

---

(١) يخالف هذا القول الرأى الشائع بأن المدفن ذا القبة يتكون من ثلاث وحدات معمارية وهى المربع السفلى ومنطقة الانتقال والرقبة ثم القبة أى الحوذة .

دلى : العمارة العربية بمصر – ص ٩ - ١٠ .

على غالب : قباب القاهرة فى عصر المماليك الجراكسة - ص ٣

ما هو إلا أرضية مربع القبة ولابد من غلق منافذها وتبليطها أو ترخيمها بقطع الرخام الملون (الخردة) حتى تظهر بالمظهر اللائق بها[٢] .

ونضيف على ذلك فنقول أن هذا الانفصال يتمشى مع ما جاء فى كتب الفقه والحسبة بشأن أحكام الدفن فقد اتفقت كلها على توسيع القبر وتعميقه على وجه يحرس الجثة من السباع والطير ويكتم الرائحة من الانتشار[٣] .

أولاً : فساق[٤] الدفن :

على الرغم من تعدد المسميات التى أطلقت على المدافن والقبور

---

(٢) **محمد مصطفى نجيب** : مدرسة الأمير قرقماس وملحقاتها - ص ٤٨٥ - ٤٨٦ .

(٣) **الشافعى** : الأم - جـ ١ - ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

ابن الاخوة : (محمد بن محمد بن أحمد القرشي) ت : ٧٢٩هـ / ١٣٢٩م .
معالم القربة فى أحكام الحسبة - تحقيق محمد محمود شعبان ، صديق أحمد عيسى (القاهرة ١٩٧٦م) - ص ١٠٥ .

محمد بن جمال الدين مكى العاملى : (ت : ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م) - اللمعة الدمشقيه - جـ ١ - تحقيق السيد محمد كلانتر - بيروت ١٩٨٣م - ص ١٤٦ .

ابن مفتاح : شرح الأزهار - جـ ١ - ص ٤٣٨ .

ابن عابدين : حاشية ابن عابدين - جـ ١ - ص ٩٣٣ .

أبو بكر الجزائرى : منهاج المسلم - ص ٢٤٢ .

(٤) يوحد للفسقية معان أخرى متعددة غير المعنى الجنائزى فهى تعنى الحوض المعد لماء الوضوء والاغتسال على العادة فى ذلك وله أشكال متعددة منها المستطيل والمربع والمثمن كما يطلق لفظ الفسقية على الأحواض التى تتوسط أرضيات شبابيك الأسبلة وعن طريقها يسيل الماء للمارة وهى عبارة عن أحواض متعددة الأشكال أيضاً يتوسطها فوار يخرج منه الماء للتسبيل ، ويطلق هذا اللفظ أيضاً على الفوارات التى تتوسط الدور قاعات بين الإيوانات فى القصور المملوكية وذلك لتلطيف الجو من الصيف ولها أشكال متعددة تفنن

الإسلامية إلا أن لفظ الفسقية هو الذى شاع إطلاقه على مدافن سلاطين وأمراء المماليك فقد ورد هذا اللفظ فى معظم وثائق الوقف المملوكية ، والفسقية كما يذكر ابن عابدين هى « كبيت مسقوف بالبناء يسع جماعة قياماً »(٥) ، وقد اتفق الفقهاء على كراهية الدفن فى الفساق لمخالفتها السنة المطهرة(٦) .

وينبغى أن نذكر أن تخطيط معظم الفساق التى قمت بزيارتها أو التى تناول وصفها بعض الأثريين يكاد يكون متشابهاً فهى عبارة عن مساحة مستطيلة تبنى فى تخوم الأرض أسفل حجرة القبة المربعة ومادة بنائها إما من الحجر الفص النحيت ذى الأحجام المتوسطة وتكحل المداميك بالمونة وفى بعض الأحيان تترك بدون تكحيل(٧) أو تكون مادة بنائها من الآجر ، ويوجد فى الجهة الجنوبية الشرقية من هذه المساحة المستطيلة حنية محراب معقودة وذلك لبيان اتجاه القبلة لوضع المتوفى تجاهها ، هذا وسقف هذه المساحة المستطيلة قبو مدبب أو نصف دائرى ما هو إلا أرضية حجرة القبة المربعة ، أما أرضية الفسقية فتفرش بالرمل الناعم المنخول لامتصاص الفضلات ولمنع تسرب أى روائح تنتج عند تحلل الجثة المدفونة ومن أمثلة ذلك فسقية قبة طشتمر حمص أخضر لوحة وفساق منشأة أمير

المرخمون فى تقشيتها بأنواع جميلة من الرخام الملون (الخردة)

عبد اللطيف إبراهيم : الوثائق فى خدمة الآثار – ص ٤٠٤ – حاشية ١

محمد مصطفى نجيب : مدرسة الأمير قرقماس – الملحق الوثائقى – ص ١٨٨ .

(٥) حاشية ابن عابدين – جـ ١ – ص ٩٣٣ .

(٦) **ابن الحاج** : المدخل – المجلد الثالث – ص ٢٦٧ – ٢٧٢ .

حاشية ابن عابدين : جـ ١ – ص ٩٣٣ .

(٧) **محمد مصطفى نجيب** : مدرسة الأمير كبير قرقماس – الملحق الوثائقى – ص ١٨٤

كبير قرقماس[٨] . أما فسقية قبة الماس الحاجب ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م فيذكر المرحوم (يوسف أحمد) أنه بعد ما ينزل الإنسان من السلم يجد ردهة لطيفة وعلى يسارها بناء معقود وبه من الجانبين حنايا مرتفعة عن أرضية الفسقية ومعقودة على عمد من الرخام ويغلب على الظن أنها كانت لوضع الأطفال الصغار عليها ، ويتوسط الصدر محراب مجوف وفرشت الأرضية بالرمل المنخول بارتفاع كبير لامتصاص الفضلات[٩] (شكل ١) .

وينقسم باطن قبة الأمير طرابای الشريفی إلى قسمين متساويين بينهما حاجز بالبناء (أ – ب) ومنزلهما بدون سلالم (١ ، ٢) بالجناحين القبلى والبحرى للحجرة ينزل فيهما بالميت متدلياً من أعلى وأسفل وفيما بين هذين المنزلين منزل آخر[٣] يوصل إلى تربتين صغيرتين (جـ – د) كائنتين أسفل المنزلين سالفى الذكر ، وفرشت أرضيتهما بالرمل الناعم الأصفر بارتفاع يربو عن متر لامتصاص الفضلات[١٠] (شكل ٢) .

وورد إلى جانب لفظ الفسقية لفظ آخر فى الوثائق المملوكية المتأخرة وهو لفظ قبر قرافى كما هو الحال فى وثيقة كل من الأمير خاير بك[١١] والسلطان قانصوه الغورى[١٢] ، ويقصد بالقبر القرافى القبر المتسع تمييزاً له عن الفسقية التى صغرت مساحتها فى أواخر العصر المملوكى وعلى ذلك فالفارق بين القبر القرافى والفسقية يتضح

---

(٨) محمد مصطفى نجيب : مدرسة الأمير كبير قرقماس – ص ٤٢٦ ، ٤٤٠

(٩) يوسف أحمد : تربة الفحر الفارسى – ص ٤٨ .

(١٠) يوسف أحمد : نفس المرجع – ص ٤٩ .

(١١) محمد مصطفى نجيب : مدرسة الأمير كبير قرقماس – ص ٤٨٦ .

(١٢) محمد فهيم : مدرسة السلطان قانصوة الغورى ص ٢٠٧

فى المساحة وفى المنزل فمساحة القبر القرافى كبيرة تبلغ نصف مساحة مربع القبة كما أنه يحتل مكان الصدارة بالنسبة للفساق التى تجاوره ومدخله يحتل صدر المنزل ، أما الفسقية فمساحتها تبلغ ربع مساحة القبر القرافى تقريباً وتشغل مكاناً جانبياً إذا كان المكان مشترك بينهما وبين القبر(١٣) .

أما منزل الفسقية فهو عبارة عن مستطيل متوسط العمق به باب معقود بعقد مدبب قمته مساوية لقمة قبو الفسقية ولا يتعدى ارتفاع هذا الباب عن (١م) وإذا كانت الفسقية واقعة أسفل قبر قرافى كبير أو أسفل منزل قبر أو فسقية آخرى نجد المدخل معلقاً أيضاً ولكن بدلاً من الوصول إلى الفسقية مباشرة نصل إليها عن طريق منور بأرضية المدخل ،وقد وجد هذاالمنور لانخفاض مستوى قبو الفسقية لوقوعه أسفل قبر آخر أو فسقية أخرى ، هذا ويؤدى مدخل الفسقية إليها إما بواسطة سلالم أو كابولى حجرى بارز فى وسط الحائط يساعد فى النزول إليها أو الصعود منها وهذه الطريقة الأخيرة صعبة وتحتاج إلى تجهيزات لتسهيل النزول(١٤) .

أما المجاديل التى تغلق على المنزل فهى من الحجر الجيرى المستطيل الشكل وترتكز على حواف بارزة بجدار المنزل ، وزيادة فى إخفاء مكان المنزل تبلط المجاديل مثل ما حولها من أرضية حجرة القبة سواء كانت بالبلاط الكدان أو البلاط الطراوى وفى بعض الأحيان توضع علامة مميزة أو حلقة تبين مكان المنزل وفى أحيان أخرى تترك المجاديل

---

(١٣) **محمد مصطفى نجيب** : المرجع السابق – ص ٤٨٦ ، ٤٨٧ .

(١٤) **محمد مصطفى نجيب** : نفس المرجع (الملحق الوثائقى) ص ١٨٤ – ١٨٥ .

عارية دون تبليط[١٥] .

وقد حرصت الوثائق على تحديد عدد فساقى الدفن بكل منشأة سواء كانت فسقية واحدة[١٦] ، أو فسقيتين[١٧] أو ثلاث فساق[١٨] أو أربعة فساق[١٩] أو أربعة عشر فسقية[٢٠] .

---

(١٥) نفس المرجع والصفحة .

(١٦) ومن أمثلة ذلك فسقية مدفن القاضى يحيى زين الدين بشارع الأزهر .

ليلى الشافعى : منشآت القاضى يحيى زين الدين بالقاهرة – ص ٣٢١ ، ٣٢٩ .

(١٧) ومن أمثلة ذلك فساق كل من السلطان حسن والمؤيد شيخ وبرسباى واينال وقايتباى .

على زغلول : **مدرسة السلطان حسن – ملحق رقم ٢ – ص : (ب)** .

فهمى عبد العليم : جامع المؤيد شيخ – ص ١١٩ – ١٢٠ .

محمد عبد الستار : الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباى – ص ٦٩ .

سامى أحمد : السلطان إينال وأثاره المعمارية (الملاحق) ص ٤ .

حسنى نويصر : منشآت السلطان قايتباى الدينية – ص ١٨٥ – ١٨٦ .

(١٨) ومن أمثلة ذلك تربة القاضى عبد الباسط بالصحراء (غير موجودة اليوم) وفساق قبة الأمير قانى باى الرماح أمير اخور (ميدان القلعة) .

سامى نوار : الأعمال المعمارية للقاضى زين الدين عبد الباسط – ص ٢٦٣ .

سامى عبد الحليم : آثار الأمير قانى باى الرماح بالقاهرة – ص ٢٥٠ .

(١٩) ومن أمثلة ذلك فساق تربة كل من الجمالى يوسف ناظر الخاص والمؤرخ أبو المحاسن ابن تغرى بردى .

عادل شريف : الأعمال المعمارية ليوسف بن عبد الكريم بن بركة الشهير بالجمالى يوسف – ص ٣٢٣ .

عبد اللطيف إبراهيم : وقفية ابن تغرى بردى – ص ٢٠١ – ٢٠٢ .

(٢٠) ومن أمثلة ذلك فساق منشأة قرقماس أمير كبير وقد توزعت هذه الفساق بواقع ست فساق أسفل حجرة القبة المربعة وأربعة فساق أسفل المدفن المجاور للقبة وأربعة أخرى أسفل مربع مد السماط

محمد مصطفى نجيب : المرجع السابق – ص ٤٨٧ – ٤٨٨ – الملحق الوثائقى ص ٢١ ٢٢ .

وقد نصت معظم الوثائق على أن هذه الفساقى قد خصصت لدفن الواقف وأولاده وذريته وعقبه ونسله وحريمه وسراريه .

وينبغى أن نشير هنا إلى أن التراكيب الموجودة بمربع القبة إنما تعلو الفساقى المبنية فى تخوم الأرض وتتكون هذه التراكيب الرخامية من مستطيل أو مستطيلين يعلو كل منهما الآخر والعلوى أقل من السفلى فى المساحة ويتوسطه ويوجد بأركان المستطيل العلوى أربعة رمامين رخامية ، ويكسو جوانب التركيبة كتابات قرآنية وأدعية إلى جانب ذكر ألقاب المتوفى واسمه .

وإلى جانب هذه التراكيب الرخامية وجدت تراكيب خشبية كما هو الحال فى تركيبة مشهد السيدة رقية ومشهد الإمام الشافعى والمشهد الحسينى ومدفن الصالح أيوب ومدفن حسام الدين طرنطاى وأحمد بن سليمان الرفاعى .

ويتوسط معظم التراكيب مربع القبة كما هو الحال فى سلاروسنجر الجاولى وبيبرس الجاشنكير والسلطان حسن وصرغتمش وأولجاى اليوسفى والظاهر برقوق بالنحاسين ، وفى بعض الأحيان توجد التراكيب أمام المحراب مباشرة كما هو الحال فى قباب خانقاه الناصر فرج بالصحراء والأشرف برسباى بالصحراء والأشرف قايتباى بالصحراء وطراباى الشريفى بباب الوزير وقرقماس أمير كبير بالصحراء .

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل وجدت تراكيب على يمين المحراب كما هو الحال بقبة السلطان[٢١] اينال بالصحراء والأمير قجماس

---

(٢١) Comite de conservations des Manuments de l'Art Arabe, (exercices 1915 - 1919). pl. CIXVII.

الاسحاق بالدرب الأحمر والأمير خايربك[٢٢] بباب الوزير ، كما وجدت تراكيب أخرى على يسار المحراب كما هو الحال فى مدفن جانى بك نائب جده (بشارع القادرية) وقبة قانيباى الرماح أمير آخور[٢٣] وأحياناً توجد التركيبة بجوار أحد الشبابيك المواجهة لجدار المحراب من الجهة الشمالية الغربية ومن أمثلة ذلك التركيبة الثانية بقبة السلطان قايتباى بالصحراء .

ويمكن القول بأن التنوع فى وضع التراكيب بهذه الصورة إنما يرجع أساساً إلى أنها مرتبطة بالفساق التى أسفلها سواء أكانت فى وسط القبة أو أمام المحراب وقريبة منه أو على يمينه أو يساره أو فى أى مكان آخر من مربع القبة .

ولعل فى وجود هذا التنوع ما ينفى القول بأن تراكيب عصر الجراكسة قريبة جداً من المحراب إذا ما قورنت بتراكيب عصر المماليك البحرية[٢٤] .

هذا وقد حذر ابن الحاج من وضع الرخام على القبور لما فيه من إسراف وإضاعة مال وفخر وخيلاء كما حذر أيضاً من وضع ألواح من الخشب عوضاً عن الرخام أو عمل درابزين حول القبر لأن كل ذلك من « البدع المكروهة فى الشرع الشريف »[٢٥] .

---

(٢٢) Ibid pl. CXCVII.

(٢٣) Ibid pl. CXCII.

(٢٤) **ليلى الشافعى** : مدرسة حوهر اللالا (رسالة ماجستير غير منشورة – جامعة القاهرة ١٩٧٧م) – ص ١٣٩ – حاشية ١ .

محمد عبد الستار : نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة ص ٣١٠ - حاشية ٢ .

(٢٥) **ابن الحاج** : المدخل - المجلد الثالث - ص ٢٧٢ .

ثانياً : المربع السفلى :

المربع السفلى هو الكتلة الثانية فى تكوين المدفن ذى القبة عموماً والكتلة الأولى فى ترتيب الوحدات الثلاث الظاهرة فوق سطح الأرض ، ويمكن القول بأن مربع القبة قد سار فى طريق التطور خطوات واسعة حتى اتخذ فى النهاية شكلاً محدداً لا يحيد عنه إلا فى القليل النادر .

١ – تخطيط مربع القبة فى العصر الفاطمى :

كانت بداية المربع السفلى بسيطة متواضعة عبارة عن مساحة مربعة تحتوى على أربعة أبواب معقودة بعقد مدبب بواقع فتحة باب فى منتصف كل جانب من جوانب المربع وهذا ما نجده فى القباب السبع[٢٦] ٤٠٠ هـ / ١٠١٠ م – وأيضاً فى بعض قباب أسوان[٢٧] وقد عرف هذا النوع من التخطيط – وهو المساحة ذات الجوانب الأربعة المفتوحة – فى العمارة قبل العصر الإسلامى وفى العمارة الإسلامية المبكرة فى العصر الأموى والعباسى[٢٨] كما عرف أيضاً فى تخطيط المدافن الإسلامية الأولى التى لاتزال باقية ومن أمثلتها قبة الصليبية فى سامراء ٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م وقبة إسماعيل السامانى فى بخارى ٢٩٥ هـ / ٩٠٧ م ، وقبة أبو الهيجاء عبد الله الحمدانى (ت : ٣١٧ هـ

---

(٢٦) **Creswell:** The Muslim Architecture of Egypt. Vol. I, Fig 47, 48.

(٢٧) **Monneret de Villad:** la Necropali Musulmana di Aswan (la Cairo, 1930) p. 24, Fig. 36.
Creswell: Op. Cit. p. 134. Fig. 65.

فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الإسلامية – ص ٥٤٧ شكل ٣٤٢ ، ٣٦٦ .

(٢٨) **عادل نجم** : التربة فى العمارة الأيوبية فى سوريا – ص ٢٧٦ – ٢٧٧ .

٩٢٩م) وكانت قبة كبيرة مقامة على أربعة جوانب يوجد فى كل جانب منها باب ، وأقيمت قبة أخرى ذات أربعة جوانب مفتوحة على قبر الإمام على فى النجف[٢٩] .

ويعتقد (البروفيسور كريزول) أن هذا النوع من التخطيط قد استخدم فى المدافن المبكرة كوسيلة للتوفيق بين الأحاديث الدينية لتحريمها لفكرة البناء على القبور وبين الرغبة فى بناء مبان تذكارية على القبور إذ أن هذا التخطيط يجعل القبر معرضاً للشمس والرياح والأمطار ومن ثم لا يتعارض مع الأحاديث كثيراً ولكنهم سرعان ما أحسوا بالحاجة لوجود محراب فأوجدوا محراباً صغيراً جداً بأحد مدافن القباب السبع على كل جانب من جوانب الباب القبلى للمدفن[٣٠] .

وقد وجد هذا النوع من التخطيط أيضاً فى المدافن ذى القباب بجبانة صعدة اليمنية[٣١] .

وتمثلت المرحلة التالية فى وجود محراب متكامل الهيئة فى الجانب القبلى وثلاثة أبواب فى الجوانب الثلاثة الأخرى كما هو الحال فى قبة الحصواق[٣٢] (شكل ٤) والقبة الفاطمية بالجمالية – أمام خانقاه بيبرس الجاشنكير (شكل ٣) وتتمثل المرحلة الثالثة فى بناء كافة الجوانب فيما عدا الجانب الذى يحتوى على المدخل المواجه للمحراب

---

(٢٩) Creswell: Op. Cit. p. 111.

(٣٠) **Creswell:** Op. Cit. p. 113.

(٣١) **سيف النصر أبو الفتوح** : دراسة لمجموعة من شواهد القبور بجبانة مدينة صعدة فى اليمن (صنعاء ١٩٨٣) – ص ٧ .

(٣٢) **Creswell:** Op. Cit. p. 113.

سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون – ج ٢ – ص ١٢٥ .

ومن أمثلة ذلك قبة الشيخ يونس[٣٣] ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤م ومشهد أخوه يوسف[٣٤] أوائل ق ٦ هـ / ١٢م وقبة كل من الجعفرى وعاتكة[٣٥] إلا أن المدخل فيهما يقع فى الجانب الشمالى الشرق وليس فى الجانب الشمالى الغربى المواجه للمحراب وقد حدث ذلك نتيجة إلحاق قبة السيدة عاتكة بالجانب الشمالى الغربى لقبة الجعفرى مما نتج عنه انسداد الباب الأصلى لقبة الجعفرى فى هذه الجهة ووضع بدلاً منه محراب قبة السيدة عاتكة مما أدى إلى تغير وضع مدخل كل من هاتين القبتين .

وقد تطور هذا التخطيط الأخير فى مشهد السيدة رقية ٥٢٧ هـ / ١١٣٣م . فقد أحيط مربع القبة الأوسط (الذى يحتوى على المحراب الرئيسى والباب المقابل له) من جانبيه الجنوبى الغربى والشمالى الشرق بمساحتين مستطيلتين مسقوفتين بسقف خشبى مسطح وبصدر كل منهما محراب ، هذا ويتقدم المدخل الشمالى الغربى المواجه للمحراب رواق مستعرض يشرف من خلال يائكة ثلاثية على صحن أوسط مكشوف ويستدل على ذلك من وجود طرفى رباط بطرفى هذا الرواق مما يدل على أن الأبنية كانت ممتدة[٣٦] .

---

(٣٣) **صالح لمعى مصطفى** : التراث المعمارى الإسلامى فى مصر – ص ٣٠ – ٣١ .

(٣٤) نلاحظ أن المدخل فى هذا المشهد فى الجهة الجنوبية الغربية وليس فى الجهة الشمالية الغربية المواجهة للمحراب .

(انظر مسقط هذا المشهد فى :

سعاد ماهر : المرجع السابق – ص ١٠٨

(٣٥) **Creswell:** Op. Cit. pp. 113 229 - 239.

سعاد ماهر المرجع السابق – ص ١١٦ أ ، ١٢٠ .

(٣٦) **حسن عبد الوهاب** أثر المرأة فى العمارة الإسلامية (مجلة الهندسة

والواقع أن نظرة فاحصة لهذا التخطيط تبين مدى تأثره بتخطيط مشهد الجيوشى[٣٧] ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥م إلى حد كبير مع بعض الاختلافات الطفيفة المتمثلة فى إلحاق المدفن ذو القبة بالجانب الشمالى الشرقى بدلاً من وجوده أمام المحراب مباشرة إلى جانب اختلاف أسلوب التغطية فبينما غطيت المساحتين اللتين تقعان على يمين ويسار قبة محراب الجيوشى وكذلك الرواق المستعرض ذو اليائكة الثلاثية التى تشرف على الصحن بأقبية متقاطعة نجدها مغطاة بأسقف خشبية مسطحة فى السيدة رقية[٣٨] .

وقد اتبع تخطيط مشهد السيدة رقية فى تخطيط مشهد كل من خضرة الشريفة بالقرافة الكبرى[٣٩]

السنة ١٦ - العدد ١١ - ١٩٣٦م) - ص ٤١٤ .

(٣٧) أشار إلى هذا النوع من التأثير كل من هونكير وحسن عبد الوهاب .

Hauteceur: Op. Cit. p. 242.

حسن عبد الوهاب : نفس المرجع - ص ٤١٦ .

(٣٨) قام (البروفيسور مونيريه دى فيلار) بإعادة تخطيط مشهد السيدة رقية ويتضح فيه مدى التشابه الكبير بينه وبين مشهد الجيوشى .

Monneret de Villard: Op. Cit. p. 48, Fit. 80.

(٣٩) يشبه تخطيط هذا المشهد تخطيط مشهد السيدة رقية من حيث وجود المربع الأوسط تعلوه القبة ويتوسط صدره المحراب وعلى جانبيه مساحتين مستطيلتين يتوسط صدر كل منهما محراب أيضاً وقد أرخه كريزول فى النصف الأول من ق ٥ هـ / ١١ م .

Creswell: Op. Cit. p. 226.

وقد ذكر المقريزى هذا المشهد ضمن مصليات القرافة وذكر أنه « مصلى الشريفة بدرب القرافة بحذرة الجباسين وخطة الصدف بناه أبو محمد عبد الله بن الأرسوف الشامى التاجر سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١م .

المقريزى : الخطط - جـ ٢ - ص ٤٥٤ .

. لا تميل (أ.د / سعاد ماهر) إلى تسمية هذا المبنى بالمصلى لأنه يحتوى على كل مقومات المسجد ومن ثم أطلقت عليه اسم مسجد خضرة الشريفة ، وقد أرجعت المبنى القائم الآن

والمشهد فى أسوان(٤٠) .

أما مشهد يحيى الشبيه حوالى ٥٤٥ هـ / ١١٥٠م فيتكون من مساحة مربعة مغطاة بقبة كبيرة وقد فتح بالاضلاع الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية والشمالية الشرقية ثلاث فتحات معقودة بعقد منكسر تؤدى إلى ثلاثة أروقة أحدها وهو الجنوبى الشرقى يوازى جدار المحراب أما الروقان الآخران وهما الجنوبى الغربى والشمالى الشرقى فعموديان على جدار المحراب ، هذا وقد قسم الرواق الجنوبى الشرقى إلى ثلاثة أقسام غطى القسم الأوسط منهما بقبة مقامة على حطتين من المقرنصات بينما غطى القسمين الآخرين بقبة ضحلة مقامة على مثلثات كروية ، كما يحتوى كل قسم من الأقسام الثلاثة على محراب أوسطها – أى المحاريب – هو أكبرها وأهمها(٤١) .

ومن المرجح أن يكون تخطيط مشهد القاسم الطيب يشبه تخطيط

إلى العصر المملوكى اعتماداً على تشابه أسلوبه المعمارى مع كل من مسجد الظاهر بيبرس ومدفن العز بن عبد السلام ت : ٦٦٠ هـ / ١٢٦١م . واعتماداً على ما ذكره ابن الزيات من أن الشيخ على التكرورى (ت : ٦٧١ هـ / ١٢٧٢م) كان إماماً للجامع .

سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون – جـ ١ – ص ٢٩٩ – ٣٠٣ .

(٤٠) يشبه تخطيط هذا المشهد تخطيط مشهد السيدة رقية من حيث وجود المربع الأوسط تعلوه القبة ويتوسط صدره المحراب والمساحتين المستطيلتين الجانبيتين إلا أنه لا توجد بهما محاريب كما فى السيدة رقية .

وقد وضعه (مونيريه دى فيلار) فيما بين مشهد الجيوشى ومشهد السيدة رقية بينما أرخه كريزول فيما بين ١١٠٠ – ١١١٠م .

Monneret de Villard: Op. Cit. p. 35. Fig. 63.
Creswell: Op. Cit. pp. 223 – 224.

(٤١) انظر المسقط الأفقى لهذا المشهد فى :

سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون – جـ ٢ – ص ١٣٥ .

مشهد يحيى الشبيه[٤٢] ويتمثل التطور الذى حدث فى تخطيط هذين المشهدين فى وجود ثلاثة أروقة تحيط بمربع القبة أحدها موازى لجدار المحراب والآخرين عمودين على جدار المحراب ، كما يتمثل أيضاً فى وجود القبة الصغرى التى تعلو المربع الذى يتقدم المحراب ، ومن المعروف أن وضع القبة فى هذا المكان يذكرنا بالقباب التى تعلو المساحة المربعة التى تتقدم محاريب المساجد والمدارس[٤٣] .

مما سبق نرى كيف تطور تخطيط المربع السفلى فى العصر الفاطمى تطوراً كبيراً فمن مجرد مربع مفتوح الجوانب الأربعة إلى مربع مفتوح من ثلاث جوانب فقط وبالجانب القبلى المحراب إلى مربع مغلق الجوانب فيما عدا الجانب الذى يحتوى على المدخل سواء أكان مواجهاً للمحراب أو فى أحد الجانبين الآخرين ، وأخيراً ما أضيف إلى هذا المربع من مساحتين مسقوفتين ورواق موازى لجدار المحراب ذى بائكة ثلاثية تشرف على الصحن الأوسط كما هو الحال فى مشهد السيدة رقية أو ثلاثة أروقة أحدها وهو القبلى موازى لجدار المحراب والآخرين عموديين على جدار المحراب كما هو الحال فى مشهد يحيى الشبيه ومشهد القاسم الطيب .

٢ – تخطيط مربع القبة فى العصر الأيوبى :

يمكن أن نميز بين نوعين من أنواع التخطيط شاع استخدامها فى

---

(٤٢) **سعاد ماهر** : نفس المرجع – ص ١٣٤ .

(٤٣) ومن أمثلة ذلك القبة التى تعلو المساحة المربعة التى تتقدم محراب كل من الجامع الأزهر وجامع الحاكم بأمر الله وجامع الظاهر بيبرس البندقدارى وجامع الناصر محمد بالقلعة وجامع الطنبغا المارداني وجامعى القاضى يحيى زين الدين بالحبانية وبولاق والقبة التى تعلو الايوان الجنوبى الشرقى لمدرسة صرغتمش .

مدافن العصر الأيوبى وهما :

النوع الأول :

ويتكون من مساحة مربعة تحتوى على محاريب فى الصدر ومدخل فى الجهة الشمالية الشرقية يجاوره شباك[٤٤] فى نفس الجهة أما الشباك الذى فى الجهة الشمالية الغربية فيعتقد أنه كان المدخل الأصلى لهذا المدفن[٤٥] ويتضح هذا التخطيط فى مدفن الإمام الشافعى ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م[٤٦] (شكل ٥) .

والمثال الثانى لهذا النوع من التخطيط نجده فى مدفن الصالح نجم الدين أيوب ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م الذى يتكون من مساحة مربعة يوجد بها فتحة باب فى الجانب الشمالى الشرقى ومحراب فى الجانب الجنوبى الشرقى وعدد من الشبابيك فى الجانبين بواقع ثلاثة شبابيك مختلفة الأعماق فى الجانب الشمالى الغربى المطل على الشارع وشباكين فى الجانب الجنوبى الغربى يطل أحدهما على الواجهة الشمالية الغربية للمدرسة الصالحية (خلف سبيل خسرو باشا حالياً) بينما يطل الآخر على الإيوان الشمالى الغربى للمدرسة[٤٧] (شكل ٨) .

النوع الثانى :

ويتكون من مساحة مربعة يتوسط صدرها المحراب وتوجد

---

(٤٤) يذكر البروفيسور كريزول أن هذا الشباك كان فى الأصل هو المدخل إلى المقابر الموجودة بالمدفن .

Creswell: Op. Cit. Vol. 2. p. 68

(٤٥) Ibid. p. 68.

(٤٦) Ibid. Fig. 30.

(٤٧) **Creswell:** Op. Cit. Fig. 44.

بالجوانب الثلاثة الأخرى ثلاثة مداخل كما هو الحال فى مدفن الخلفاء العباسيين[٤٨] ومدفن شجر الدر[٤٩] (شكلا ٦ ، ٧) .

مما سبق يمكن القول بأن تخطيط مربع القبة فى العصر الإيوبى لم يخرج عن النظام المعمول به فى تخطيط مربع القبة فى العصر الفاطمى وخاصة فى نماذج المرحلة الثانية والمرحلة الثالثة[٥٠] .

أما عن الدراسات الخاصة بالنسب المعمارية للقباب لاسيما فيما قبل العصر المملوكى فيلاحظ أنها محدودة جداً[٥١] ويستثنى من ذلك الدراسة التى نشرت عن تناسب التكوين المعمارى لقبة الصالح نجم الدين أيوب ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م .

وقد حاولت هذه الدراسة توضيح تناسب أجزاء المبنى والأسلوب الذى استخدمه المعمارى فى تحديد مقاساته والعلاقات بين أجزائه ، وبالفعل توصلت الدراسة إلى النتائج التالية :

---

(٤٨) لم يتبق من هذه المداخل سوى المدخل الشمالى الغربى المواجه للمحراب أما المدخل الشمالى الشرقى فقد حول إلى نافذة والمدخل الجنوبى الغربى قد سدّ بعد أن بنى مسجد السيدة نفسية ملاصقاً لهذه الجهة .

سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون – ج ٢ – ص ٢٢٨ .

(٤٩) انظر المسقط الأفقى لهذين المدفنين فى

Creswell: Op. Cit. Fig. 40, 71.

(٥٠) انظر ص ٣٢٠ من هذا الكتاب .

(٥١) إن دراسة موضوع النسب فى العمارة بصفة عامة ليست بالأمر الجديد ولا هى بالفكرة المبتكرة فحتى عام ١٩٥٨م بلغ عدد المؤلفات التى تم حصرها فى هذا الموضوع حوالى تسعمائة ومع هذا فإن الأبحاث التى تتناول النسب فى العمارة الإسلامية عامة وعمارة مصر الإسلامية خاصة محدودة جداً .

على غالب : تناسب التكوين المعمارى لقبة الصالح نجم الدين أيوب – المجلة المعمارية السنة الثالثة العددين ٧ ، ٨ – ١٩٨٧م – ص ٩٠ – هامش ٦ .

أولاً : المسقط الأفقى :

١ – يبعد حد حائط القبلة عن حد الفناء الداخلى للمدرسة بمسافة تساوى نصف عرض الفناء الداخلى (١٠,٤٥م) أو ضلع المربع المقامة عليه القبة (١٠,٦٦م) .

٢ – طول ضلع المربع المقامة عليه القبة حوالى ١٧ ذراعاً (١٧ × ٠,٦٢ = ١٠,٥٤م) فى الطبيعة ١٠,٦٦ ، ١٠,٦٦ ، ١٠,٧٢ ، ١٠,٧٥م وقطر المربع يساوى حوالى ٢٤ ذراعاً (٢٤ × ٠,٦٢ = ١٤,٨٨) فى الطبيعة ١٥,٠٨م .

٣ – طول الحائط الشمالى الشرقى مساو تماماً للحائط الجنوبى الشرقى بينما الحائط الجنوبى الغربى والشمالى الغربى يزيدان قليلاً فى الطول مما يدفع إلى الاعتقاد بأنه لم يتم قياسهما بل حددا هندسياً .

٤ – المحراب يقسم حائط القبلة بالنسبة الذهبية ١ : ١,٦١٨ .

٥ – فتحة الباب تساوى (خُمس) طول الحائط .

٦ – سمك حوائط القبة غير منتظم ولكنه فى حدود الدائرة المرسومة حول المربع الداخلى(٥٢) .

ثانياً : القطاع :

١ – ارتفاع قاعدة القبة من الأرضية حتى بداية الإفريز الخشبى أسفل منطقة الانتقال يساوى المسافة من ركن القبة حتى

---

(٥٢) **على غالب** : المرجع السابق ص ٩٣ شكل ٣

الطرف البعيد لتجويف المحراب وبذلك تكون نسبة هذا الارتفاع إلى طول ضلع المربع ٦,١٨ : ١ .

٢ – ارتفاع منطقة الانتقال يساوى تقريباً الارتفاع من قاعدة القبة حتى بداية الإفريز الخشبى وبذلك تكون نسبة هذا الارتفاع إلى طول ضلع المربع أيضاً ٠,٦١٨ : ١ .

٣ – منطقة الانتقال مكونة من ثلاث حطات متساوية فى الارتفاع .

٤ – الارتفاع من الأرض حتى بداية العقد المتوج لتجويف المحراب يساوى المسافة من ركن القبة حتى الطرف القريب لتجويف المحراب .

٥ – تجويف المحراب يتوجه عقد حدوة فرس مدبب المسافة بين مركزية تساوى (ثلث) البحر(٥٣) .

٦ – ارتفاع مركز القبة عن الأرض يساوى قطر المربع المقامة عليه القبة .

٧ – قطاع القبة مدبب المسافة بين المركزين فيه تساوى (خمس) البحر .

٨ – قمة القبة من الداخل ذات انحناء نصف قطره يساوى ربع البحر .

---

(٥٣) البحر هو فتحة العقد وإتساعه ويطلق عليه أيضاً الونز .

محمد حماد : الإنشاء والعمارة المجلد الأول – الطبعة الأولى - ١٩٦٤م – ص ١٢٧ شكل ٢١٩ .

توفيق عبد الجواد : معجم العمارة وإنشاء المبانى ص ٢٢٤ – شكل ١٤٤ .

٩ – ارتفاع القبة والرقبة بالنسبة إلى القاعدة ومنطقة الانتقال معاً يساوى ٠,٦١٨ : ١ .

١٠ – الارتفاع الكلى للقبة يساوى ضعف طول ضلع المربع المقامة عليه(٥٤) .

هذا وقد تأثرت القباب المملوكية بقبة الصالح نجم الدين أيوب فنجد على سبيل المثال أن المقاس الأساسى وهو طول ضلع المربع المقامة عليه القبة يتكرر فى عدد من القباب المملوكية مثل قبة الأشرف خليل وقبة فاطمة خاتون وقبة الظاهر برقوق ، كما أن استخدام نسبة القطاع الذهبى تتكرر كثيراً فى نسب قباب العصر المملوكى فنجد مثلاً أن نسبة ارتفاع منطقة الانتقال من الداخل بالنسبة لطول ضلع المربع الداخلى ١ : ١,٦١٨ والموجودة فى قبة الصالح نجم الدين أيوب تتكرر بعد ذلك فى قبة جانى بك الأشرفى وقبة نصر الله وقبة برسباى البجاسى .

كما أن نسبة ارتفاع القبة والرقبة معاً بالنسبة للارتفاع من منسوب الأرض حتى نهاية منطقة الانتقال وهى أيضاً تساوى ١ : ١,٦١٨ تتكرر فى قباب جانى بك الأشرفى وبرسباى البجاسى وأزدمر(٥٥) .

٣ – تخطيط مربع القبة فى العصر المملوكى :

لم يخرج تخطيط مربع القبة فى مدافن العصر المملوكى عن النمط التخطيطى المألوف من حيث وجود مساحة مربعة يتوسط صدرها المحراب وعلى جانبيه شبابيك أو خزانات حائطية (كتيبات) ويوجد

---

(٥٤) **على غالب** : المرجع السابق – ص ٩٣ – ٩٤ – شكل ٤ .

(٥٥) **على غالب** : نفس المرجع - ص ٩٤ .
انظر أيضًا ص ٥٨ ، ١٣٠ من هذا الكتاب .

أيضاً المدخل فى أحد جوانب هذه المساحة المربعة أما الجوانب الأخرى فتحتوى على عدد من الدخلات أو الخزانات الحائطية أو الشبابيك التى قد تختلف من مدفن لآخر سواء من حيث عددها أو اتساعها أو من حيث درجة عمقها أو أسلوب تغطيتها بالعقود المختلفة أو الأعتاب الحجرية المتنوعة ، وقد اتبع هذا النظام فى تخطيط مربع القبة فى معظم مدافن هذا العصر سواء أكانت مستقلة(٥٦) أو كانت ملحقة بمنشأة من المنشآت الدينية(٥٧) .

---

(٥٦) ومن أمثلة ذلك من عصر المماليك البحرية مربع قبة كل من الصوابى (شكل ١١) وعلى بدر القرافى ، وطشتمر حمص أخضر (شكل ١٩) وقوصون ، وقبتى تنكز بغا بقرافة السيوطى ، وقبة خوند طولبية (شكل ٢٧) .

ومن عصر المماليك الجراكسة مربع قبة كل من يونس الدوادار بباب الوداع وقبة يونس الدوادار بالصحراء المعروفة بقبة أنس (شكل ٢٩) وقبة سعد الدين بن غراب وكزل (كركر) بالصحراء وقبة جانى بك الأشرفى بالصحراء (شكل ٣٦) وقبة خديجة أم الأشرف بالصحراء (شكل ٣٩) وقبة نصر الله كوز العسل (شكل ٤١) وقبة معبد الرفاعى بالصحراء (شكل ٣٨) وقبة السبع بنات بالصحراء (شكل ٤٢) وقبة السادات الشناهرة (قراقجا الحسنى) (شكل ٤٣) وقبة برسباى البجاسى (شكل ٤٥) وقبة عبد الله الدكرورى بقرافة الإمام الشافعى ، وقبة ازدمر (الزمر) (شكل ٥٠) وقبة قانصوة أبو سعيد بالصحراء (شكل ٥١) وقبة العادل طومانباى بالعباسية (شكل ٥٢) وقبة أزربك (شكل ٥٧) وقبة سودون أمير مجلس (شكل ١١) وقبة عصفور (شكل ٥٩) وقبة ازدمر (شكل ٥٠) .

(٥٧) ومن أمثلة ذلك مربع القبة الملحقة بزاوية زين الدين يوسف (شكل ١٣) والقبتين الموجودتين على يمين ويسار كل من تربة خوند طغاى (شكل ٢٢) وايوان المتوفى (شكل ١٤) والتربة السلطانية (شكل ٣٠) والقبتين الموجودتين بطرفى الإيوان الجنوبى الشرقى لخانقاه الناصر فرج بن برقوق (شكل ٣٣) ومربع القبة الملحقة بمنشأة كل من الأشرف برسباى بالصحراء (شكل ٣٧) والأشرف اينال بالصحراء أيضاً (شكل ٤٤) والأشرف قايتباى بالصحراء أيضاً (شكل ٤٧) والأمير كبير قرقماس بالصحراء أيضا (شكل ٥٨) .

وإلى جانب هذا النمط التخطيطى الذى شاع فى تخطيط معظم المدافن المملوكية وجد نمط آخر شبيه بأنماط المدافن الإسلامية المبكرة من حيث وجود مربع ذو أربعة جوانب مفتوحة ويتوسط كل جانب منها باب معقود بعقد مدبب ، واتضح هذا النظام فى مربع قبة كل من الأمير تنكزبغا[٥٨] (بمنشية ناصر) ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م ومربع قبة يشبك أخى السلطان برسباى بالصحراء[٥٩] وأخيراً فى قبة الشيخ عبد الله المنوفى[٦٠] ٨٧٩هـ / ١٤٧٤م (أمام منشأة قايتباى بالصحراء) .

أما عن النسب المعمارية الخاصة بمربع القبة فيذكر (دللى) أن نسبة ارتفاع مربع القبة إلى عرضه من الداخل من ٣/٤ إلى ١١/٤م وسمك جدارنه فى القباب الصغيرة المساحة ١/٤ عرضه الداخلى و ١/٦ العرض فى القباب التى يبلغ قطرها من الداخل ١٤م أو ١٥م . وقد ينقص هذا السمك فى الصفف من ٢٠ إلى ٣٠ سم[٦١] .

---

(٥٨) **Hautecoeur et Wiet:** Op. Cit. Vol. 2. p10.

(٥٩) توجد هذه القبة فى حوش السلطان برسباى الملحق بتربته بالصحراء . انظر : (شكل ٣٧) لوحة ١٢٣ .

(٦٠) تتكون هذه القبة من مساحة مربعة تقريباً ٢,٥٢م ـــ ٢,٥٣م فتح بكل ضلع من أضلاعها فتحة معقودة بعقد مدبب إلا أن الفتحة الشمالية الشرقية استغلت فيما بعد بوضع شباك بداخلها يرتفع من مستوى أرضية مربع القبة .

ويبدو أن هذا التكوين قد شكك علماء لجنة حفظ الآثار فى نسبة هذه القبة إلى العصر المملوكى فأرجعوها إلى العصر الفاطمى .

كراسات لجنة حفظ الآثار العربية – التقرير ٣٨ للقومسيون الثانى رقم ٨٧ لسنة ١٨٨٨م – ص ٦٣ .

وقد أرجعت هذه القبة إلى عام ٨٧٩هـ / ١٤٧٤م نظراً لتشابه زخارفها مع زخارف قبة السلطان قايتباى . انظر لوحة ١٢٧ .

(٦١) **دللى** : العمارة العربية فى مصر – ص ٩ .

أما (د. مهندس على غالب) فقد قام بدراسة النسب المعمارية الخاصة بقباب العصر الجركسى المستقلة وانتهى منها إلى عدة نتائج جديدة تماماً منها :

١ - أن المقاس الإبتدائى أو نقطة الإنطلاق فى بناء الشكل المعمارى للقباب فى أغلب الأحيان هو طول ضلع المربع المقامة عليه القبة وإن كان أحياناً هو قطر القبة أو طول الضلع الخارجى .

٢ - طول الذراع السائد استخدامه فى أعمال البناء فى مصر فى العصور الوسطى يساوى ٦١ - ٦٢ سم أى ضعف القدم اليونانى السائد استخدامه فى العمارة البيزنطية (٣٠,٨ × ٢ = ٦١,٦ سم) .

٣ - يتحدد سمك حوائط المربع المقامة عليه القبة إما بالدائرة المرسومة حول المربع الداخلى (كما هو الحال فى جانى بك - السبع بنات - أزرمك أزدمر) أو بعلاقة عددية بسيطة بالنسبة لطول ضلع المربع كأن يكون ربع أو سدس طول الضلع (كما هو الحال فى نصر الله ، برسباى البجاسى ، عصفور وازدمر) .

٤ - أن ارتفاع مربع القبة من الداخل يساوى طول ضلع المربع الداخلى كما هو الحال فى (جانى بك الأشرفى ، السبع بنات) أو يساوى قطر نصف المربع الداخلى (كما هو الحال فى برسباى البحاسى - أزرمك) أو يساوى ١,٦١٨ من طول الضلع (كما هو الحال فى عصفور وازدمر)[٦٢] .

---

(٦٢) على غالب : قباب القاهرة فى عصر المماليك الجراكسة ص ١٢ - ١٤ .

مقارنة بين تخطيط مربع القبة فى القرافة وفى المدينة :

ولو عقدنا مقارنة بين تخطيط مربع القبة فى القرافة وبين مثيله داخل القاهرة سواء أكان مستقلاً أو كان ملحقًا بمنشأة من المنشآت الدينية لوجدنا تشابهًا بينهما إلى حد كبير ويتضح هذا التشابه فى النقاط التالية :

١ – وجود المساحة المربعة التى تحتوى على المحراب والمدخل وعدد من الشبابيك والدخلات والخزانات الحائطة .

٢ – عدم وجود محراب فى صدر مربع بعض القباب فى القرافة والمدينة ومن أمثلة ذلك مربع قبة كل من أحمد المهمندار (٧٢٥ هـ / ١٣٢٤م) والقاصد (٧٣٥ هـ / ١٣٣٥ م) وكوجك (٧٤٧ هـ / ١٣٤٦م) وشيخو (٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م) وتنكزبغا (بمنشية ناصر) (٧٦٤هـ / ١٣٦٢ م) والقبة الجنوبية بمدرسة أم السلطان شعبان ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م وقبة برسباى (بالصاغة) ٨٢٩ هـ / ١٤٢٥ م ، وقبة يشبك أخو برسباى قبل ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م ، وقبة الونائى منتصف القرن ٩هـ / ١٥ م وقبة عمر بن القارض ٨٦٥ هـ / ١٤٦٠م، وقبة الشيخ عبد الله المنوفى ٨٧٩ هـ / ١٤٧ م ، وقبة يعقوب شاه المهمندار ٩٠١ هـ / ١٤٩٥ م وقبة قانصوة أبو سعيد بالمحجر ٩٠ هـ / ١٩٨ م ، وقبة أزدمر أوائل القرن ١٠هـ/١٦م(٦٢م).

ويتضح من هذه الإحصائية أن عدد المدافن المملوكية التى لاتحتوى على محاريب ـ على ضوء ماتم حصره حتى الآن ـ أربعة عشر مدفنا وليس تسعة مدافن كما تذكر (كسلر) (٦٣م) .

(٦٢ م) استمرت المدافن التى تخلو من وجود المحاريب خلال العصر العثمانى أيضًا سواء بمدينة القاهرة أو بغيرها عن المدن المصرية الأخرى فى الوجهين القبلى والبحرى . محمد حمزة : العماره الإسلامية ـ المدخل ـ ص ٥٤ ـ ٥٥ .

(٦٣م) Kessler Funerary Architecture within the city pp 259 - 267

٣ – بروز مربع بعض القباب الملحقة عن سمت الجدار سواء فى القرافة أو المدينة ، ومن أمثلة ذلك مربع قبة كل من الصالح نجم الدين أيوب (٦٤٨ هـ / ١٢٥٠م) وبيبرس الجاشنكير وصرغتمش (٧٥٧ هـ / ١٣٠٦م) والسلطان حسن (٧٦٤ هـ / ١٣٦٢م) وقانيباى المحمدى بالصليبة (٨١٦ هـ / ١٤١٣م) وقايتباى بالصحراء (٨٧٩ هـ / ١٤٧٤م) وخايربك (٩٠٨ هـ / ١٥٠٢م) وقانيباى الرماح أمير أخور بميدان الرميلة بالقلعة (٩٠٨ هـ / ١٥٠٢م) وأمير كبير قرقماس بالصحراء (٩١٢ هـ / ١٥٠٦م) (انظر أشكال رقم : ٨ ، ١٦ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٤٧ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٨) .

ويرى بعض العلماء أن سلاطين وأمراء المماليك وجدوا فى إبراز الواجهة المطلة على الطريق عنصراً يضفى على قبابهم أهمية ومن ثم انتقل هذا الإحساس إلى المعماريين فنفذوه سواء أكانت تلك المدافن ملاصقة لإيوان القبلة أو المقابل له ، وفى كلتا الحالتين كان كل ما يسعى إليه المعمار هو أن تشرف تلك المدافن على الطريق مهما كلفه هذا من مشاق فى الموازنة بين تخطيط الطريق واتجاه القبلة وكأن المعمار يريد أن يكون السلطان أو الأمير قريباً مؤثراً فى سير الأمور فى مماته مثلما كان فى حياته[٦٤] .

والواقع أن هذا القول مبالغ فيه إلى حد كبير لأنه توجد أمثلة أخرى مساوية لسمت الجدار ولا تبرز عنه تفوق الأمثلة البارزة عن سمت الجدار من حيث عددها[٦٥] ، فكيف والحال هكذا

---

(٦٤) محمد مصطفى نجيب : مدرسة الأمير كبير قرقماس – ص ٤٩١ .

(٦٥) ومن أمثلة ذلك مربع قبة كل من : قلاوون وزين الدين يوسف وسلار وبسنجر =

أن نقول أن المعمار عمل على إبراز واجهات القباب عن قصد وسعى إلى ذلك بشتى الطرق(٦٦) .

٤ – تشابه قبة كل من برسباى بالصحراء (شكل ٣٧) وجانم البهلوان بالسروجية (شكل ٤٨) من حيث وجودهما بالجهة الشمالية الشرقية من المدرسة(٦٧)إلا أنهما يختلفان فى أن باب الدخول لقبة برسباى يوجد فى الجهة الشمالية من الدور قاعة نفسها بينما يوجد فى قبة جانم البهلوان فى الجهة الشمالية من الإيوان الشمالى الغربى .

ويمكن القول أنه على الرغم من التشابه الكبير فى تخطيط مربع القبة فى القرافة والمدينة إلا أنه وجدت أنظمة تخطيطية لمربع القبة داخل القاهرة لم توجد فى القرافة ومنها :

١ – تخطيط مربع قبة المنصور قلاوون (٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) الذى لم يتكرر فى مصر بعد ذلك حيث يحتوى هذا المربع على أربعة دعامات مربعة وأربعة أعمدة مستديرة وقد رتبت بواقع دعامتان ثم عمودان بالتبادل يحملان فوقهما عقوداً مدببة تعلوها رقبة مثمنة بها نافذة فى كل ضلع من أضلاعها ثم يعلو

= وأحمد المهمندار والماس الحاجب واصلم البهائى وشيخو وأولجاى اليوسفى وبرقوق بالنحاسين واينال اليوسفى ومحمود الكردى وسودون من زادة والمؤيد شيخ وبرسباى بالصاغة وبالصحراء وجانى بك الأشرفى بالمغربلين وتغرى بردى بالصليبة وقجماس الاسحاقى والغورى وجانم البهلوان بالسروجية (أشكال ١٠ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٤٨ ، ٤٩) .

(٦٦) **محمد مصطفى نجيب** : المرجع نفسه – ص ٤٩٠ – حاشية ٣ .

(٦٧) يتشابه تخطيط مدرسة كل من برسباى بالصحراء وجانم البهلوان بالسروجية فكل منهما يتكون من دور قاعه وسطى مغطاة بسقف خشبى يوجد بالجهة الجنوبية الشرقية والشمالية الغربية ايوانين بواقع ايوان فى كل جهة إلى جانب وجود قبة الدفن .

الرقبة المثمنة قبة مستديرة .

وقد ذكر علماء الآثار أن تخطيط هذه القبة يذكرنا بالعمائر الموجودة فى بيت المقدس ودمشق ولاسيما قبة الصخرة المشرفة[٦٨] إلا أن (أ.د. سعاد ماهر) ترى أن الفرق بين قبة الصخرة وقبة قلاوون كبير لأن تخطيط قبة الصخرة الخارجى مثمن بينما هو فى قلاوون مربع كما أن القبة التى تعلو قبة الصخرة تقوم على أعمدة تعلوها رقبة مستديرة بينما هى فى قبة قلاوون رقبة مثمنة (شكل ٦٩) .

٢ - وجود المدفنين المتجاورين كما هو الحال فى سلاروسنجر الجاولى وخايربك ، وقد سبق أن ظهر هذا الوضع من قبل فى الجعفرى وعاتكة من العصر الفاطمى[٧٠] .

٣ - يتقدم مربع قبة كل من الأشرف خليل وفاطمة خاتون (شكلا ٩ ، ١٢) من الجهة الشمالية الغربية رواق خارجى غير مسقوف يوجد بصدره على جانبى الباب الأوسط لمربع القبة محرابين[٧١] .

ومن المعروف أن هذا الرواق ظهر من قبل يتقدم الواجهة

---

(٦٨) **حسن عبد الوهاب** : تاريخ المساجد الأثرية - جـ ١ - ص ١١٨ .
كمال سامح : تطور القبة فى العمارة الإسلامية - ص ٢٠ .
كونل : الفن الإسلامى - ترجمة أحمد موسى (بيروت ١٩٦٦م) - ص ١٠٧ .
Lane - Pool: Art of the saracens in Egypt. pp. 73 - 74.
Hautecrour et Wiet: Op. Cit. pp. 260 - 261.

(٦٩) **سعاد ماهر** : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون - جـ ٣ - ص ٧٢ .

(٧٠) **محمد مصطفى نجيب** : مدرسة خاير بك - ص ٣٦ - ٣٧ .

(٧١) **Creswell:** Op. Cit. Vol. 2. pp. 214 - 216.

الشمالية الغربية لمشهد السيدة رقية ٥٢٧ هـ / ١١٣٢ م إلا أنه مسقوف بسقف مسطح وليس مكشوفاً كما هو الحال فى هذين المثالين .

٤ - يتقدم مربع قبة بيبرس الجاشنكير (شكل ١٦) مساحة مستطيلة مغطاة بسقف خشبى تحتوى الواجهة الشمالية الغربية منها على ثلاثة شبابيك أكبرها أوسطها تشرف على الشارع ، ونشاهد نفس الشيء فى مربع قبة صرغتمش (شكل ٢٥) إلا أن التغطية هنا قباب ضحلة مقامة على مثلثات كروية .

٥ - يتقدم مربع قبة علاء الدين كجك (٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م) (شكل ٢١) من الجهة الجنوبية الشرقية إيوان حل محل المحراب فى هذه الجهة عبارة عن مساحة مستطيلة تشرف على مربع القبة بعقد مدبب يمتد للداخل مكوناً هيئة قبو نصف دائرى وبالجانب الشرق من الإيوان شباك يشرف على صحن مسجد أق سنقر[٧٢] (الجامع الأزرق) على جانبيه خزانتين حائطتين ، أما الجانبين الآخرين الجنوبى الغربى والشمالى الشرقى فيوجد بهما شباكين آخرين بواقع شباك بكل جانب .

والواقع أن تخطيط هذا المدفن يعد فريداً فى نوعه حيث لم يتكرر بعد ذلك .

---

(٧٢) عن هذا المسجد انظر :

سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون - ج ٣ - ص ٢٣٥ - ٢٤٠ .

سامى عبد الحليم : مسجد الأمير أق سنقر الناصرى (مجلة كلية الآداب - جامعة المنصورة - العدد ٣ ، ٤ - مايو ١٩٨٢ - ص ٢٦١ - ٢٩٨ .

٦ - يتكون مدفن صرغتمش (شكل ٢٥) من مساحة مربعة يحيط بها أربع) دخلات معقودة بعقد مدبب يتوسط الدخلة الجنوبية الشرقية حنية المحراب ، أما الدخلة الجنوبية الغربية فتحتوى فى نهايتها على شباك يشرف على الشارع ، وبنهاية الدخلة الشمالية الشرقية باب الدخول للمدفن ، أما الدخلة الشمالية الغربية فتؤدى إلى مساحة مستطيلة مسقوفة بقباب ضحلة مقامة على مثلثات كروية وتشرف هذه المساحة على الشارع من خلال ثلاثة شبابيك،هذا وقد ذكر أحد الباحثين أن هذا المدفن شيد على نظام الصحن والأربع إيوانات فى وضع متعامد(٧٣) . والواقع أن هذا القول مبالغ فيه إلى حد كبير إذ أنه لا توجد أية علاقة بين تخطيط مدفن صرغتمش وبين تخطيط الصحن والأربع إيوانات هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن وجود الدخلات الأربع ربما كان بسبب كبر المساحة الأرضية فى هذه الجهة التى أراد المعمار إقامة المدفن ذو القبة بها ومن ثم قام المعمار باختزال الجزء المربع الذى يصلح لإقامة القبة فوقه وما تبقى من هذه المساحة استغله المعمار فى عمل هذه الدخلات التى ربما تكون قد خصصت لقراء القبة من المقرئين الحافظين لكتاب الله تعالى وعددهم « ثمانية وأربعين نفساً » كما قرر الواقف(٧٤) .

---

(٧٣) **حسن القصاص** : المدرسة الصرغتمشيه (رسالة ماجستير غير منشورة - جامعة القاهرة ١٩٧٣م) - ص ١٠٥ .

(٧٤) **عبد اللطيف إبراهيم** : نصان جديدان من وثيقة الأمير صرغتمش (مجلة كلية الآداب مج ٢٧ جـ ١ ، ٢ مايو - ديسمبر ١٩٦٥م) مطبعة جامعة القاهرة ١٩٦٩م ص ١٥٠ .

٧ – يتم الوصول إلى مربع قبة أولجاى اليوسفى (شكل ٢٨) من باب على يسار الإيوان الشمالى الغربى يفضى إلى مساحة مستطيلة مسقوفة بسقف خشبى تحتوى على شباكين أحدهما بالجهة الشمالية الغربية يشرف على الشارع والآخر بالجهة الشمالية الشرقية يطل على داخل الإيوان الشمالى الغربى وتقع القبة على يسار هذه المساحة أى فى الجهة الشمالية الشرقية منها وربما كان كبر المساحة الأرضية فى هذه الجهة هو الذى أدى إلى وجود هذه المساحة فمن المعروف أن القبة تقام فوق مساحة مربعة ولما كانت مساحة الجزء المتبقى فى هذه الجهة كبيرة قام المعمار باختزال مساحة مربعة منها تصلح لإقامة القبة وما تبقى من هذه المساحة استغله المعمار فى عمل هذه المساحة ووضع بها باب الدخول والشباكين اللذين سبق الحديث عنهما .

٨ – ألحق المعمار بمربع قبة جانى بك بالخيامية ٨٣٠هـ / ١٤٢٦م (شكل ٣٥) من الجهة الجنوبية الغربية دخلة عبارة عن مساحة مستطيلة مسقوفة بسقف خشبى وتحتوى على شباكين من الجانبين الجنوبى الغربى والشمالى الغربى بواقع شباك فى كل جانب ، أما الجانب الجنوبى الشرقى فتوجد به دخلة معقودة ، وربما كان كبر المساحة أيضاً هو السبب فى وجود مثل هذه الدخلة التى قد تستغل فى جلوس المقرئين بها .

٩ – يتقدم مربع قبة كل من الظاهر برقوق بالنحاسين والأشرف برسباى بالصاغة (شكلا ٣١ ، ٣٤) من الجهة الشمالية الغربية دورقاعة وإيوان يشرف عليها بعقد مدبب وبجانبى الدورقاعة الجنوبى الغربى والشمالى الشرقى دخلتين غير مجوفتين

وينتهى كل منهما بهيئة مسطحة فى الظاهر برقوق ، أما فى الأشرف برسباى فالإيوان يوجد فى الجانب الجنوبى الغربى من الدورقاعة وتوجد الدخلتين فى كل من الجانبين الشمالى الغربى والشمالى الشرقى وهما معقودتين بعقد مدبب إلا أنهما مسدودتين(٧٥) .

١٠ - يتكون مربع قبة اينال اليوسفى ٧٩٤هـ / ١٣٩١م بالخيامية (شكل ٣٢) من مساحة مربعة يحيط بها أربع دخلات متسعة معقودة بعقد مدبب يتوسط الدخلة الجنوبية الشرقية حنية المحراب ، أما الدخلة الشمالية الغربية فتحتوى على شباك تعلوها قمرية قندلية بسيطة(٧٦) ، والدخلة الجنوبية الغربية تحتوى على باب الدخول تعلوها قمرية مطاولة(٧٧) . والدخلة الشمالية الشرقية لا تحتوى على شبابيك أو قمريات ، ويمكن القول أن هذا التخطيط يشبه تخطيط مربع قبة صرغتمش السابق ذكره إلا أنه يختلف عنه من حيث عدم بروز القبة هنا فى اينال اليوسفى عن سمت الجدار الشمالى الغربى المطل على الشارع ، أما فى صرغتمش فتؤدى الدخلة الشمالية الغربية إلى مساحة مسقوفة بقباب ضحلة مقامة على مثلثات كروية ، وتشرف هذه المساحة التى تبرز عن سمت الجدار على الشارع من خلال ثلاثة شبابيك وهذا لا نجده فى اينال اليوسفى .

---

(٧٥) يمكن القول أن هذا التخطيط - المتمثل فى وجود الدورقاعه والايوان والدخلتين يشبه التخطيط الموجود فى كل من مدرسة اينال اليوسفى ومحمود الاستادار (محمود الكردى) بالخيامية إلا أنه قد زاد عليه وجود ايوان القبلة فى هاتين المدرستين وقد حل محل مربع القبة فى الظاهر برقوق بالبحاسين .

(٧٦) انظر ص ١١٧ من هذا الكتاب . .

(٧٧) انظر ص ١١٧ من هذا الكتاب .

هذا وقد قامت (كسلر) بدراسة العمارة الجنائزية داخل مدينة القاهرة وانتهت منها إلى النتائج التالية :

١ – كان الضريح يقام دائماً فى الشارع الأساسى الذى يربط مجموعة من الأبنية بعضها ببعض ذلك أن الضريح كان يعد بمثابة رمز له مكانته ومن ثم يستلزم مكاناً بارزاً .

٢ – كان الوضع الأمثل للضريح فى داخل المدينة هو أن يقام فى الجانب المواجه للكعبة ونادراً ما كان يحدث ذلك بسبب صعوبة إيجاد قطعة أرض مناسبة للبناء داخل المدينة تتوفر لها – مثلما تتوفر للشارع فى نفس الوقت – مزية مواجهة الكعبة ولابد أن الاهتمام بتحقيق مثل هذا الوضع قد أدى بالسلاطين إلى تشييد مجموعاتهم الجنائزية على الجانب الغربى من القصبة (وهى تقصد أضرحة كل من قلاوون والناصر محمد والمؤيد شيخ وبرسباى) أما الجانب الشرقى من القصبة فلا يوجد به سوى ضريحين فقط وهما الأول والأخير (وتقصد ضريح الصالح أيوب والغورى) وسبب وضع الضريح الأول فى هذا الجانب هو أنه ألصق بعد وفاة السلطان الصالح أيوب بمدرسته التى كانت قد بنيت فى الجانب الشرقى ، أما ضريح الغورى فقد وضع فى هذا الجانب لأنه بنى بعد فترة قرنين ونصف من عمارة أضرحة المدينة ومن ثم فهو يظهر مرحلة متقدمة للآثار التذكارية التى أصبحت مستقلة لا تهتم بالوضع المثالى ولم يعد ملتصقاً بوحدة كبيرة .

٣ – عندما تكون المجموعة الجنائزية مشرفة على أكثر من شارع واحد كان الضريح يبنى على أحدهما الذى تكونُ له الشهرة الكبيرة وقت تشييد البناء ومن أمثلة ذلك عندما بنى الأمير شيخو مسجده وضريحه على تقاطع شارعين رئيسيين من شوارع

القاهرة الفاطمية المتأخرة لم يختار مكان ضريحه على شارع الشريان القديم الذى يسير من باب زويلة إلى الفسطاط وإنما اختاره على شارع الصليبة المؤدى إلى المركز الجديد للحكم فى القلعة كما أنه لهذا السبب من الشهرة الكبيرة لموقع الميدان تحت القلعة اختاره السلطان حسن لبناء مجموعته الجنائزية كى تشرف على الميدان الذى كانت تحدث فيه العروض والأعياد منذ أيام والده(٧٨) .

٤ – كان تخطيط أضرحة المدينة يسبب مصاعب للمعماريين لأنه يشرف على الشارع ومن ثم يشكل جزءاً من واجهة المجموعة الملتصقة به كما أنه كان لابد أن يتجه ناحية الكعبة (مكة) ونظراً لوجود محاريب بداخله ومن ثم خضع إلى نفس المعالجات المعمارية التى استهدفت تكييف الأبنية الدينية الأصيلة فى المدينة لاعتبارات تخطيط الشوارع وقد تم ذلك بطريقتين : الأولى وهى الأكثر شيوعاً كانت تتم بزيادة سمك الحائط بحيث يسير وجهه الخارجى بمحاذاة الشارع ووجهه الداخلى يتجه تجاه الكعبة وقد نفذت هذه الطريقة بالفعل فى الأضرحة الأولى إلا أنها أدت إلى حدوث تشوهات بنائية على الفتحات المشرفة على الشارع فأصبحت غير ملائمة ، ومن أمثلة ذلك ما نراه فى ضريح الصالح أيوب فقد أصبحت فتحات الشبابيك كما لو تكون ممرات يبلغ طول كل واحد منها حوالى ٥ م(٧٩) .

والطريقة الثانية هى موافقة الواجهة لامتداد الشارع وكذا المدخل

---

(٧٨) **Kessler:** Op. Cit. pp. 261 263.

(٧٩) Ibid. p. 265.

على أن يعدل وضع المبنى من الداخل طبقاً لاتجاه القبلة إلى الكعبة دون التقيد أو الارتباط بكتلة صلبة من البناء بين أوجه الحوائط المختلفة وقد استغل المعمار الفرق بين هذه الأوجه فى بناء حجرات وممرات ومداخل وربما كانت هذه الطريقة سبباً فيما نراه من ازدياد الانكسارات فى المداخل كما استطاع أيضاً أن يبنى بهذه الطريقة فى المواضع التى لا تتوافق مع اتجاه القبلة(٨٠) . ومن أمثلة ذلك مدرسة وضريح تغرى بردى بالصليبة ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م حيث يتلاقى داخل المبنى مع الواجهة فى زاوية مقدارها ٥٤° ، وعلى الرغم من محاولة التكييف هذه إلا أن محاريب بعض الأضرحة لم توجه التوجيه الصحيح تجاه الكعبة كما هو الحال فى ضريح الماس (٧٣٠هـ / ١٣٢٩م) حيث بلغ الفرق بينه وبين محراب المسجد حوالى ٢٢° تقريباً ، وفى مسجد وضريح ايدمر البهلوان (قبل ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م) يبلغ الفرق بين المحرابين نحو ١٠° وفى مسجد وضريح سودون القصروى (قبل ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م) يبلغ الفرق تقريباً ١٨° وفى مدرسة وضريح خايربك (٩٠٨هـ / ١٥٠٢م) تبلغ درجة الانحراف تقريباً نحو ٢٩°(٨١) .

ويمكن الرد على النقطة الثانية التى أثارتها (كسلر) فنقول أن وضع المحاريب فى المدافن يرتبط بما قررته كتب السنة والفقه من وجوب توجيه رأس الميت ناحية القبلة ومن ثم وجدت المحاريب فى مربع القبلة – كترديد للمحاريب الموجودة فى فساقى الدفن – سواء

---

(٨٠) **Kessler:** Op. Cit. p. 265.

سيف النصر أبو الفتوح : مداخل العمائر المملوكية بالقاهرة (رسالة ماجستير غير منشورة – جامعة القاهرة ١٩٧٥م) ص ١٦ .

(٨١) **Kessler:** Op. Cit. pp. 265 266.

فى داخل المدينة أو فى القرافة فى نفس الجهة التى توجد فيها محاريب المنشآت الملحق بها هذه المدافن سواء أكانت فى شرق الشارع أو غربه ولما كان المعمار قد حرص على أن تشرف المدافن على الشارع الرئيسى أياً كان موقع المنشأة بالنسبة له ومن ثم احتل المدفن جزءاً من الواجهة المطلة على الشارع ، فإذا كانت الواجهة الجنوبية الشرقية أى واجهة جدار القبلة هى التى تشرف على الشارع وجدنا المدافن تشرف على الشارع من هذه الواجهة أيضاً وقد تحقق هذا الوضع فى معظم المدافن الملحقة بالمنشآت التى بنيت فى غرب الشارع الرئيسى سواء فى داخل المدينة أو فى القرافة(٨٢) ويدل هذا الأمر على أن إشراف المدفن على الشارع من الجهة الجنوبية الشرقية لم يكن قاصراً على قصبة القاهرة فقط كما تذكر (كسلر) .

أما إذا كانت الواجهة الشمالية الغربية هى التى تشرف على الشارع نجد المدافن تشرف على الشارع من هذه الواجهة أيضاً وقد تحقق هذا الوضع فى معظم المدافن الملحقة بالمنشآت التى بنيت فى شرق الشارع الرئيسى فى داخل المدينة أو فى القرافة(٨٣) .

---

(٨٢) ومن أمثلة ذلك مدفن كل من قلاوون والناصر محمد وبرقوق والمؤيد شيخ وبرسباى بالصاغة ومدفن أحمد المهمندار وأم السلطان شعبان وفى المدفنين الملحقين بخانقاه الناصر فرج بالصحراء وكذلك فى مدفن كل من السلطان اينال والسلطان قايتباى وأمير كبير قرقماس بالصحراء وأيضاً فى مدفن زاوية زين الدين يوسف يوسف (بشارع القادرية) .

(٨٣) ومن أمثلة ذلك مدفن كل من الصالح نجم الدين أيوب واينال اليوسفى ومحمود الاستادار (محمود الكردى) وجانى بك بالمغربلين والغورى بالغورية وجانم البهلوان بالسروجية ويدل هذا على تعدد المدافن التى بنيت فى شرق القصبة لا كما تذكر (كسلر) أنهما مدفنين فقط . ومن أمثلة ذلك أيضاً مدفن كل من بيبرس الجاشنكير والماس وصرغتمش واولجاى اليوسفى وتمراز الأحمدى (بالسيدة زينب) وخاير بك ومدفن الأشرف برسباى بالصحراء الذى بنى إلى الشرق من الطريق المسلوك فيما بين القلعة وقبة =

وإذا كانت الواجهة الجنوبية الغربية هى التى تشرف على الشارع الرئيسى نجد المدافن تشرف على الشارع من هذه الواجهة(٨٤) .

وإذا كانت الواجهة الشمالية الشرقية هى التى تشرف على الشارع الرئيسى نجد المدافن تشرف على الشارع من هذه الواجهة(٨٥) .

وفى ضوء ما سبق يمكن القول بأن موقع المدفن الملحق بالمنشأة الدينية قد ارتبط بازدياد أهمية الشارع فى العصر المملوكى ومن ثم حرص المعماريين على وضع مدافن السلاطين والأمراء فى الواجهات التى تشرف على الشارع الرئيسى سواء أكانت واجهة القبلة أو أى واجهة من الواجهات الثلاثة الأخرى وفى كلتا الحالتين يتم توجيه المحراب ناحية الكعبة المعظمة .

ثالثاً : مناطق الانتقال :

أولاً : منطقة الانتقال من الداخل :

تعد منطقة الانتقال من عناصر الإنشاء الهامة التى لعبت دوراً بارزاً فى تطور القباب الإسلامية وتنحصر أهميتها فى أنها تساعد على تحويل مربع القبة السفلى إما إلى دائرة ترتفع فوقها رقبة مستديرة السطح الداخلى تلتحم مع دائرة القبة التى تعلوها وإما إلى شكل مثمن ترتفع فوقه رقبة سطحها الداخلى يتكون من ثمانية أضلاع(٨٦) ، وعلى ذلك

= النصر .

(٨٤) ومن أمثلة ذلك مدفن كل من شيخوو تغرى بردى بالصليبة وقجماس الأسحاق بالدرب الأحمر .

(٨٥) ومن أمثلة ذلك مدفنا كل من سلاروسنجر الجاولى (بشارع مراسينا) وقانيباى المحمدى بالصليبة .

(٨٦) **فريد شافعى** : العمارة العربية فى مصر الإسلامية - ص ٥٦١ - ٥٦٢ .

فمنطقة الانتقال تسهل عملية إقامة القبة فوق مساحة مربعة . وعلى الرغم من تعدد أنواع مناطق الانتقال(٨٧) إلا أن نوعين منها هما اللذان شاع استخدامهما فى شرق وغرب العالم الإسلامى وهما المثلثات الكروية(٨٨)

---

(٨٧) ومن هذه الأنواع التى لم يكن لها دور بارز فى العمارة الإسلامية مناطق الانتقال المكونة من بلاطة أفقية مثلثة يتميز بعضها بحافة مستقيمة يتحول بها المربع إلى مثمن تقوم عليه رقبة القبة ويتميز بعضها الآخر بحافة مقوسة يتحول بها المربع إلى دائرة تقوم عليها رقبة مستديرة أو مناطق الانتقال المكونة من مثلث هرمى مقلوب أو من حنايا نصف مخروطية ، وقد ظهرت هذه الأنواع قبل العصر الإسلامى وفى بداية العصر الإسلامى كما وجدت نماذج لها فى مقابر أسوان .

فريد شافعى : نفس المرجع – ص ٥٥٣ ، ٥٦١ – ش ٣٨٠ – ٣٨٧ .

(٨٨) لم يكن لهذا النوع من مناطق لانتقال دور بارز فى تطور القبة المدفن فى العمارة الإسلامية فى مصر كما أن أمثلتها الباقية قليلة جداً ولاسيما قبل العصر التركى العثمانى أما عن أصل هذه المثلثات وابتكارها فقد تناوله كثير من العلماء والباحثين وعلى رأسهم (البروفيسور كريزول) الذى عقد فصلاً كبيراً استعرض فيه المراحل المختلفة لنشأة وتطور القباب المقامة على مثلثات كروية فى مختلف الأقاليم الشرقية والغربية .

Creswell: Early Muslim Architecture. Vol. I. pp. 450 – 471.

وذكر (كريزول) أن أقدم مثال للمثلثات الكروية يوجد فى قصر النوايجس فى عمان وقد أرجعه بعض العلماء إلى ق ٢ م بينما أرجعه هو إلى نهاية ق ٣ م حيث شاع استخدامه فى سوريا وفلسطين .

Ibid. p. 460.

ومن قام بدراسة هذا النوع من مناطق الانتقال وذكر أمثلة لها كلا من :

محمد عبد العزيز مرزوق : مساجد القاهرة قبل عصر المماليك (القاهرة ١٩٤٢م ص ٧٤ .

الماركى دى فوكويه : العمارة فى سوريا الوسطى – ترجمة محمود مرابط ١٩٤٤م ص ٣٦ ، ٣٩ ٤٠ .

فريد شافعى : المرجع السابق – ص ١٣٩ ، ١٤٢ .

صالح لمعى مصطفى : التراث المعمارى الإسلامى فى مصر – ص ١٠١ القباب ص ٥ . =

والحنايا الركنية[٨٩] الساسانية التى بلغت أقصى مراحل

Papadopoulo: Islam and Muslim Art. p. 246. =

أما عن أقدم أمثلة المثلثات الكروية فى العصر الإسلامى فتوجد فى الحجرة الساخنة فى كل من قصير عمره وحمام الصرح من نهاية العصر الأموى .

كمال سامح : تطور القبة فى العمارة الإسلامية – ص ٥ .

فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الإسلامية – ص ١٤٢ .

Hassan Al-Basha: The Muqarnas A Genuine Characteristic of Islamic Art Its Early Use and Development in Domes (Cairo, 1956) p. 35.

ومن أمثلة المثلثات الكروية فى العمارة الإسلامية فى مصر أبواب القاهرة الفاطمية (٤٨٠ - ٤٨٥ هـ / ١٠٨٧ - ١٠٩٢ م) والجامع الأقمر (٥١٩ هـ / ١١٢٥ م) ، وخانقاه فرج بن برقوق وقانيباى الرماح أمير أخور وغيرهما .

كمال سامح : المرجع السابق – ص ١٤ ، ١٥ .

صالح لمعى : التراث المعمارى الإسلامى فى مصر – ص ١٠١ – ١٠٢ .

(٨٩) اختلف العلماء فيما بينهم بشأن ابتكار هذه الحنايا وإلى أى الحضارات يرجع فضل السبق فى هذا الابتكار وأدلى كل منهم بدلوه وقامت على أساس ذلك نظريات كثيرة فمنهم من نسبها إلى بلاد الفرس ومنهم من نسبها إلى الرومان ومنهم من نسبها إلى أرمينيا وبلاد ما بين النهرين ومنهم من ذكر أن بلاد أشور وخراسان هى صاحبة الفضل فى هذا الابتكار ومنهم من اعتقد أن لسوريا بعض الفضل فى تصميم هذا العنصر المعمارى ، وقد قام (د. أحمد فكرى) بعرض هذه النظريات ومناقشتها مناقشة موضوعية انتهى منها إلى القول بأنه اجتمع فى قباب القصور الساسانية أول مثل صريح وواضح لشكل الحنايا الركنية التى كان لها تأثيرها الواضح على الحنايا الإسلامية المبكرة .

أحمد فكرى : المسجد الجامع بالقيروان (١٩٣٦م) – ص ١٠٠ – ١٠١ .

وعقد (البروفيسور كريزول) فصلاً كبيراً فى كتابه صفحات (١٠١ – ١١٨) ناقش فيه ابتكار الحنايا الساسانية وتطورها وانتهى إلى القول بأن هذه الحنايا ابتكرت فى فارس على الأقل فى بداية ق ٣م . وانتشرت بعد ذلك فى ق ٥م فى الأقاليم الشرقية للامبراطورية البيزنطية ثم فى أرمينيا فى ق ٧م .

Creswell Op. Cit. Vol. 2. p. 118.

وذكر (كريزول) أن هذا الحل عرف أول ما عرف فى القصور الساسانية مثل فيروز آباد وسرفستان وشيرين وفراشاباد .

Ibid. p. 101. =

تطورها فى العصر الإسلامى(٩٠) .

= وقد أخذ بهذا الرأى عالبية العلماء والباحثين العرب والاجانب ومنهم :

محمد عبد العزيز مرزوق : مساجد القاهرة قبل عصر المماليك – ص ٧٤ .

كريستنسن : إيران فى عهد الساسانين – (ترجمة يحيى الخشاب وعبد الوهاب عزام ١٩٥٧م) – ص ٨١ .

كمال سامح : العمارة فى صدر الإسلام – ص ٨٠ – ٨٣ .

فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الإسلامية – ص ١٦٩ .

صالح لمعى : التراث المعمارى الإسلامى فى مصر – ص ١٠٢ .

محمد عبد القادر محمد : إيران منذ فجر التاريخ حتى الفتح الإسلامى – الطبعة الأولى ١٩٨٢م - ص ٢٢٥ .

Pope: Asurvey of Persion Art. Vol. I. pp. 501 – 504.

Sameh (K) : Stalactites in Muslim Architecture (Cairo, 1954). pp. 129 – 130.

Papadopula: Op. Cit. p. 246.

(٩٠) يعتبر استخدام الحنايا الركنية كمنطقة انتقال من التأثيرات الساسانية فى العمارة الإسلامية .

كمال سامح : العمارة الفارسية القديمة (مجلة المنتدى – السنة الأولى – العدد الأول ١٩٧٨م) – ص ٦٨ – ٧٠ .

ويوجد أقدم مثل مؤكد التاريخ لاستخدام الحنايا الركنية فى العصر الإسلامى فى المدخل الرئيسى لقصر الحوسق الخاقانى (٢٢١هـ / ٨٣٦م) المعروف بباب العامة .

فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الإسلامية – ص ٢٠٠ – ٥٦١ .

كمال سامح : العمارة الإسلامية فى مصر – ص ٨٣ .

سيف النصر أبو الفتوح : مداخل العمائر المملوكية – ص ١٠٣ .

أما د. أحمد فكرى فيذكر أن أقدم مثل عرفى معروف لها يظهر فى قبة المحراب بمسجد القيروان (٢٢١هـ / ٨٣٦م) .

أحمد فكرى : المسجد الجامع بالقيروان – ص ١٠٢ . مساجد القاهرة ومدارسها جـ ١ العصر الفاطمى (القاهرة ١٩٦٥م) – ص ١٦٣ .

ولم يوافق كريزول على إرجاع قبة القيروان إلى تاريخ ٢٢١هـ / ٨٣٦م . وإنما أرجعها إلى تاريخ متأخر عن ذلك عندما جدد المسجد زيادة الله الأغلبى أو تكون من أعمال أبو إبراهيم أحمد الأغلبى ٢٤٨هـ / ٨٦٢م . اعتماداً على التشابه الكبير بينها وبين قبة =

(أ) مناطق الانتقال فى العصر الفاطمى :

بدأت مناطق انتقال القباب الفاطمية بسيطة جداً فهى عبارة عن أربع حنايا كبيـرة بواقع حنية فى كل ركن من أركان المربع السفلى معقودة بعقد مدبب وعلى ذلك فتشبه المحاريب ومن ناحية الارتفاع تساوى ربع ارتفاع أى كتف من الاكتاف الأربعة المكونة لمربع القبة وهى نسبة أخذت فى التناقص بعد ذلك بشكل ملحوظ ، وقد اتبع هذا الأسلوب بقباب رواق القبلة بمسجد الحاكم (٣٩٣هـ / ١٠٠٣م) وبالقباب السبع (٤٠٠هـ / ١٠١٠م) وبعض قباب أسوان وبمشهد الجيوشى بقبة المدفن وبالقبة التى تعلو المحراب (٤٧٨هـ / ١٠٨٥م) وبقبة الحافظ بالأزهر (٥٢٤هـ / ١١٢٩م) (لوحة ٤) وبمشهد أخوه يوسف أوائل ق ٦هـ / ١٢م (لوحة ٢) وبقبة الحصواتى (شكل ٦١) منتصف ق ٦هـ / ١٢م[٩١] (لوحة ٣) وتطورت مناطق الانتقال الفاطمية تطوراً كبيراً فى الثلث

محراب جامع الزيتونة .

Creswell: Op. Cit. Vol. 2. p. 323.

أما عن أقدم مثل مؤكد التاريخ لاستخدام الحنايا الركنية فى المدافن ذات القباب فيوجد فى قبة الصليبة فى سامرا (٢٤٨هـ / ٨٦٢م) .

كمال سامح : العمارة الإسلامية فى مصر – ص ٨٣ .

عيسى سلمان : العمارات العربية الإسلامية فى العراق – جـ ٢ – ص ٧١ – ٧٢ .

(٩١) **حسن عبد الوهاب** : مميزات العمارة الإسلامية فى القاهرة (مؤتمر الآثار فى البلاد العربية – دمشق ١٩٤٧م) – ص ١٧٨ .

كمال سامح : تطور القبة فى العمارة الإسلامية – ص ١١ – ١٣ .

أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها – جـ ١ – ص ١٦٥ .

سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون – جـ ١ – ص ٢٤٣ – جـ ٢ – ص ١١ ، ١٠٧ .

حسن نويصر : منشآت السلطان قايتباى الدينية بمدينة القاهرة - ص ٧٠

الأخير من ق ٥ هـ / ١١ م فشغلت أركانها بحطتين من الحنايا المعقودة بعقد مدبب تتكون الحطة الأولى من ثلاث حنايا تعلوها حنية واحدة(٩٢) .

وقد بدأ ظهور هذا النظام فى منطقة انتقال قبة الشيخ يونس(٩٣)

محمد مصطفى نجيب : مدرسة الأمير كبير قرقماس – ص ٤٩٢ – ٤٩٣ .

Briggs (M): Muhammadan Architecture. p. 195.

Houtecoeur et Wiet: Les Mosquees due Caire. p. 243.

Davis: The Mosques of Cairo. p. 20.

Creswell: The Muslim Architecture of Egypt. Vol. I. pp. 108, 235, 236, 66.

Shafei: The Mashhad al Juyushi, p. 244.

(٩٢) **حسن عبد الوهاب** : التأثيرات المعمارية بين آثار سوريا ومصر (المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب – الحلقات الدراسية – التاريخ والآثار – الحلقة الدراسية الأولى ٤ ٩ فبراير ١٩٦١م) – ص ٨٩ .

كمال سامح : تطور القبة فى العمارة الإسلامية – ص ١٤ – ١٥ .

أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها – جـ ١ - ص ١٦٥ – ١٦٦ – جـ ٢ – ص ٨٥ .

سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون – جـ ٢ – ص ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٣٣ .

صالح لمعى : التراث المعمارى الإسلامى فى مصر – ص ١٠٢ .

حسنى نويصر : منشآت السلطان قايتباى الدينية – ص ٧٠ .

محمد مصطفى نجيب : مدرسة الأمير كبير قرقماس – ص ٤٩٤ .

Briggs: Op. Cit. p. 195.

Hautecoeur et Wiet: Cit p. 243.

Davis: Op. Cit. p. 21.

Creswell: Op. Cit. pp. 227, 229, 234, 248, 264.

Sameh: Stalactites. p. 131.

Ragib: Les sonctuaires des cens de la Famille dans la cite des Morts au Caire (Roma, 1977). p. 62., le Musolees Fatimides. pp. 12, 14, 20, 26.

(٩٣) يذكر بعض العلماء أن هذه الحنايا المتطورة ظهرت أولاً فى منطقة انتقال كنيسة أبى سيفين فى مصر القديمة التى ترجع إلى الفترة ما بين (١٠٩٤ ١١٢١) أى فى نفس الفترة التى ظهرت فيها منطقة انتقال قبة الجعفرى وعاتكة =

(٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) (لوحة ٥) ، واتبع هذا الأسلوب بعد ذلك فى منطقة انتقال قبة كل من الجعفرى وعاتكة حوالى (٥١٤هـ - ٥١٩هـ / ١١٢٠ - ١١٢٥م) (لوحتا ٦ ، ٧) والقبة الفاطمية بالجمالية (أمام خانقاه بيبرس الجاشنكير) حوالى ٥٢٧هـ / ١١٣٣م (لوحة ٨) وقبة السيدة رقية (٥٢٧هـ / ١١٣٣م) (لوحة ٨م) وقبتى مشهد يحيى الشيبه حوالى (٥٤٥هـ / ١١٥٠م) (لوحة ٩) وعند تحليلنا لمناطق الانتقال المتطورة نجد أنها عبارة عن عقد ثلاثى الفصوص توجد بين ريشتيه الجانبيتين حنية تشبه الحنية التى توجد فى كل ركن من أركان مناطق الانتقال الفاطمية البسيطة الأولى أى أن المعمار عندما أراد أن يطور منطقة الانتقال أخذ الحنية الكبيرة القديمة ووضعها فى موضعها - أى بأعلى كل ركن من أركان المربع ولكن بصورة أصغر من الصورة الأولى - وجعلها محصورة بين ريشتى العقد الثلاثى الذى يعتبر إضافة جديدة لمناطق الانتقال فى هذه الفترة . ولو تتبعنا ظهور هذا العقد نجد أنه ظهر فى شرق العالم الإسلامى فى إيران وخاصة بمدينة يزد بمسجدها الجامع (٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) (لوحتا ١١ ، ١٢) وفى المسجد الجامع بمدينة أردستان[٩٤] (٤٤٧ - ٤٥٠هـ / ١٠٥٥ - ١٠٥٨م) وفى المسجد الجامع فى أصفهان[٩٥] (٤٨١هـ / ١٠٨٨م)

Hautecoeur et Wiet: Op. Cit. p. 243.
Creswell: Op. Cit. pp. 231 - 232. Fig. 130 - 131.

والواقع أن منطقة انتقال قبة الشيخ يونس ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م . تسبق مثيلتها فى كنيسة أبى سيفين مما ينفى ما ذكره هؤلاء العلماء .

(٩٤) انظر صورة منطقة الانتقال هذه فى :

Aslanapa (O): Türk Sanati. Istanbul, 1984. p. 67.

(٩٥) **Creswell:** Op. Cit. p. 261.
Hassan Al-Basha: Op. Cit. pp. 35 - 36.

(لوحة ١٣) وتتابع ظهوره بعد ذلك فى كثير من المنشآت[٩٦] .

مما سبق يمكن القول بأن العقد الثلاثى استعمل فى نشأته كمنطقة انتقال لقباب المساجد الإيرانية ثم استعمل فى مصر كمنطقة انتقال فى المدافن الفاطمية ذى القباب إلا أنه يلاحظ أن مناطق الانتقال الفاطمية التى ظهر فيها هذا العقد تتميز بأنها صغيرة الحجم إذا ما قورنت بمثيلتها الإيرانية كما أنها تمتاز بظهور حواف قائمة الزوايا تفصل بين القوسين السفليين والقوس العلوى وإن كانت هذه الحواف ظهرت بمنطقة انتقال قبة المسجد الجامع بأصفهان إلا أنها غير محسوسة وذلك لصغرها ولضخامة منطقة الانتقال مما ساعد على عدم ظهورها بالشكل الواضح الموجود فى مناطق انتقال القباب الفاطمية[٩٧] .

ونضيف على ذلك فنقول أن العقد الثلاثى فى المساجد الإيرانية قد تميز بتحديده بعقد مدبب القمة مع امتداده لأسفل ليتناسب مع امتداد منطقة الانتقال نفسها .

هذا وقد اختلف العلماء والباحثون بشأن تطور مناطق الانتقال الفاطمية وفيما إذا كان هذا التطور ابتكار محلى أم أنه يرجع إلى تأثيرات خارجية ؟ .

يذكر (كريزول) أن هذا الابتكار كان كله ابتكاراً محلياً ومن ثم لا مجال مطلقاً للنظرية القديمة الخاصة بتأثير العمارة الفارسية على

محمد مصطفى نجيب : مدرسة الأمير قرقماس (الملحق الوثائقى) – ص ٢٠٣ .

(٩٦) عن هذه المنشآت انظر :

Creswell: Op. Cit. p. 252.

Aslanapa: Op. Cit. p. 61 - 62 - 65.

(٩٧) **محمد مصطفى نجيب** : المرجع السابق - ص ٢٠٣ .

العمارة الفاطمية [٩٨] ، وعلى عكس ذلك نجد بعض العلماء يؤكد وجود هذا التأثير الذى ظهر فى مناطق الانتقال الفاطمية وأيضاً فى كنيسة أبى سيفين ومكان التعبد لسان جورج فى نفس الكنيسة[٩٩] .

وعلاوة على ذلك يذكر (أ.د. حسن الباشا) أن المقرنصات الإيرانية تطورت بصورة أوضح خارج إيران نفسها وربما حدث ذلك فى مصر بصورة أوضح[١٠٠] .

والواقع أن التأثيرات الإيرانية قد وجدت طريقها إلى مصر فى العصر الفاطمى سواء على الفنون التطبيقية المختلفة أو على المنشآت الدينية (كواجهة الجامع الأقمر والصالح طلائع) وربما كان للعلاقات الطيبة بين الفاطميين فى القاهرة والبويهين فى إيران والعراق (لاسيما وأن كليهما يدين بالمذهب الشيعى ومن ثم اعترف عضد الدولة البويهى بصحة نسب الخليفة الفاطمى العزيز بالله) أثرها فى وجود هذه التأثيرات الفنية ، ومن المعروف أيضاً أنه كانت هناك صادرات وواردات بين مصر وإيران أشار إليها الرحالة « ناصرى خسرو » الذى زار مصر فى عهد الخليفة الفاطمى المستنصر[١٠١] . ونضيف إلى ذلك فنقول أن الفاطميين أخذوا الكثير عن الإيرانيين فى عاداتهم ورسومهم حتى جعلوا بلاطهم أشبه ما يكون ببلاط ملوك الفرس كما كان الخليفة الفاطمى يتشبه بكسرى فإذا تهيأ للانعقاد مجلسه جلس خلف ستار ثم

(٩٨) **Creswell:** Op. Cit. p. 253.

(٩٩) **Sameh:** Stalactites. p. 131.
Abouseif: Four Domes of the Late Mamluk Period. pp. 194 – 195.

(١٠٠) **Hassan Al-Basha:** Op. Cit. p. 36.

(١٠١) **محمد عبد العزيز مرزوق** : التأثيرات المتبادلة فى الفنون بين مصر وإيران عبر العصور (كتاب جوانب من الصلات الثقافية بين مصر وإيران القاهرة ١٩٧٤) ص ٢٥ – ٣١ .

يرفع الستار ويرتل جماعة من المقرئين القرآن بصوت مرتفع ويذكرنا ذلك الستار بالستار الذى كان يفصل بين ملوك الفرس ومن يحضرون مجالسهم كما كان هناك شخص موكلاً برفع ذلك الستار وبرفع صوته قبل رفع الستار نفسه(١٠٢) .

ومادام الأمر كذلك فليس غريباً أن تظهر العقود الثلاثية فى مناطق الانتقال الفاطمية بعد ظهورها بمثيلتها فى إيران بما يقرب من ستين عاماً وإن كانت قد ظهرت بشكل مختلف عنها وذلك بسبب اختلاف طبيعة التكوين المعمارى لكل منهما الناتج من اختلاف مساحة مربع القبة فبينما هى كبيرة فى المساجد الإيرانية ومن ثم استلزم ذلك ضخامة منطقة الانتقال وارتفاعها حتى تستطيع أن تتحمل إقامة القبة الضخمة فوقها نجدها قد صغرت فى القباب الفاطمية كنتيجة طبيعية لصغر حجم مربع القبة ومن ثم ظهرت بهذا الشكل المختلف إلى حد ما عن مناطق الانتقال الإيرانية وقد سبق توضيح ذلك .

وعلى النقيض من الآراء السابقة يذكر (د. أحمد فكرى) أن مناطق الانتقال الفاطمية مقتبسة من مثيلتها المغربية واستدل على ذلك بتضليعات القباب الفاطمية التى تشبه قبتى المحراب فى القيروان والزيتونة وبأن المظهر الخارجى للقبة واحد فى كليهما فقد تم التحول من المربع إلى المثمن عن طريق التدرج(١٠٣) .

والواقع أن هذا القول إذا كان يصدق على مناطق الانتقال الفاطمية الأولى البسيطة وعلى التضليعات وتدرج منطقة الانتقال من الخارج

---

(١٠٢) حسين مجيب المصرى : إيران ومصر عبر التاريخ – القاهرة ١٩٧٢م ص ٢٩ ٣٠ .

(١٠٣) أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها - ج ١ – ص ١٦٤ – ١٦٦ .

إلا أنه لا يصدق على مناطق الانتقال الفاطمية المتطورة التى بعدت الصلة بينها وبين مناطق الانتقال التونسية التى تشبه مثيلتها فى مناطق الانتقال الفاطمية الأولى البسيطة من حيث وجود أربع حنايا بواقع حنية فى كل ركن من الأركان هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن مناطق انتقال القباب التونسية لم تتطور وظلت على شكل الحنية الركنية الواحدة فى جميع مراحل العمارة الإسلامية هناك(١٠٤) .

مما سبق يمكن القول بأن التطور الذى حدث لمناطق الانتقال الفاطمية فى الثلث الأخير من ق ٥ هـ / ١١ م كان بداية لظهور المقرنصات فى مصر وتطورها فى حطات متتابعة حلت محل الحنية الركنية الواحدة الكبيرة(١٠٥) .

(١٠٤) **سليمان مصطفى ذبيس** : القبة التونسية (بحث منشور فى كتاب دراسات فى الآثار الإسلامية – القاهرة ١٩٧٩م) – ص ٩٣ – ١١٠ .

حسن عبد الوهاب : الآثار الفاطمية بين تونس والقاهرة (بحث منشور فى نفس الكتاب السابق) – ص ١٣٤ – ١٣٥ .

(١٠٥) يؤكد ذلك ما ذكره معظم العلماء والباحثين من أن المقرنصات تطورت عن الحنايا الركنية المفردة وذلك بمضاعفة عدد حطاتها ومن ثم أطلق عليها اسم المقرنصات وهى فى هذه الحالة تعتبر ذات هدف إنشائى معمارى بحت ولاسيما فى مناطق انتقال القباب وأضحت هذه المقرنصات عنصراً معمارياً مميزاً للعمارة الإسلامية فى هذه الناحية .

دللى : العمارة العربية بمصر – ص ١١ – ١٢ .

أحمد فكرى : المسجد الجامع بالقيروان – ص ١٠٠ ، مساجد القاهرة ومدارسها جـ ١ ص ١٦٣، جـ ٢ ص٨٦ .

محمد عبد العزيز مرزوق : جامع الظاهر بيبرس (المجلة التاريخية المصرية - المجلد ٣ العدد ١ – مايو ١٩٥٠م) ص ٩٣ .

سيف النصر أبو الفتوح : مداخل العمائر المملوكية – ص ١٠٣ .

Lane Pool: Art of the saracens in Egypt - p. 100.

وكان للمقرنصات إلى جانب هذا الهدف المعمارى الإنشائى دور زخرفى بارز فى

(ب) مناطق الانتقال فى العصر الإيوبى :

تطورت مناطق الانتقال فى هذا العصر تطوراً ملحوظاً عن ذى قبل ويمكن أن نميز بين نوعين منها :

النوع الأول :

ويتكون من حطتين من المقرنصات ذات العقود المنكسرة تتكون كل حطة منها من ثلاث حنايا حيث أضاف المعمار حنيتين علويتين على جانبى الحنية التى تشكل قمة أو طاقية العقد الثلاثى ، ومن أمثلة هذا النوع منطقة انتقال قبة الخلفاء العباسيين (٦٤٠ هـ / ١٢٤٢م) (لوحة ١٤) وقبة شجر الدر (٦٤٨هـ / ١٢٥٠م) (لوحة ١٥) .

النوع الثانى :

ويتكون من ثلاث حطات من المقرنصات ذات العقود المنكسرة أيضاً ويتضح ذلك فى منطقة انتقال قبة الإمام الشافعى (٦٠٨ هـ / ١٢١١م) وتتكون من ثلاث حطات من المقرنصات الخشبية :

العمارة الإسلامية حيث استخدمت فى زخرفة الواجهات والمداخل والمآذن وتيجان الأعمدة والأبراج الخاصة بالمدافن فى شرق العالم الإسلامى .

زكى حسن : الفنون الإيرانية – ص ٥٣ .

سيف النصر أبو الفتوح : المرجع السابق - ص ١٠٢ - ١٠٣ .

مرفت عيسى : مدرسة خوند بركة (رسالة ماجستير غير منشورة - جامعة القاهرة ١٩٧٧م) ص ١٠١ .

Hassan Al-Basha: The Muqornas its Ezrly Use in Islamic Doorways and Towers. (Cairo, 1966). pp. 22 - 25.

Mostafa: Kloster und Mausleum des Farag Ibn Borquq in Kairo pp. 118 - 119.

تحتوى الحطة الأولى على خمس حنايا والثانية على سبع حنايا والثالثة على ثلاث حنايا[١٠٦] (شكل ٦٢) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً منطقة انتقال قبة الصالح نجم الدين أيوب (٦٤٨ هـ / ١٢٥٠م) (لوحة ١٦ ، شكل ٦٣) وتتكون من ثلاث حطات أيضاً عبارة عن ثلاث حنايا فى الحطتين الأولى والثانية تعلوهما أربع حنايا فى الحطة الثالثة ، وربما كان السبب فى اختلاف عدد الحنايا فى القبتين السابقتين هو كبر مساحة مربع القبة فى الشافعى عنه فى الصالح أيوب فبينما تبلغ مساحته فى الشافعى ١٥م نجده ١٠,٩٠م فى الصالح أيوب مما دفع المعمار إلى أن يزيد من ارتفاع منطقة الانتقال بعض الشيء وبالتالى يزيد من عدد الحنايا المكونة لها حتى يستطيع إقامة القبة الضخمة فوقها .

مما سبق يمكن أن نحصر ملامح التطور الذى حدث لمناطق الانتقال الأيوبية فى النقاط التالية :

(أ) ازدياد عدد الحنايا عن مثيلتها فى العصر الفاطمى فأصبحت ثلاث حطات بدلاً من اثنتين .

(ب) تغيرت عقود الحنايا من العقد المدبب إلى العقد المنكسر .

(جـ) اتصلت حنايا منطقة الانتقال بفتحات الشبابيك بأواسط منطقة الانتقال بعد أن كان كل منهما مستقل عن الآخر داخل إطاره المحدد له .

---

(١٠٦) يذكر (البروفيسور كريزول) أن حطات منطقة انتقال قبة الإمام الشافعى لا يمكن إرجاعها إلى تاريخ قبل النصف الثانى من ق ٩ هـ / ١٥م .
Creswell: Op. Cit. Vol. 2. p. 72.

ويذكر (د. أحمد فكرى) أن هذا الاتصال من جهة وازدياد عدد الحنايا من جهة أخرى كان له أثره فى أن ارتفعت منطقة الانتقال وتداخلت فى رقبة القبة كما أن هذه الرقبة لم تعد مستقلة عن منطقة الانتقال أو واضحة الانفصال عنها كما كان الحال من قبل كما لم تعد منطقة تحول المربع إلى الدائرة مقصورة على الأركان(١٠٧) . والواقع أن هذا الاتصال قد ساعد على وضوح استدارة رقبة القبة التى كانت قبل ذلك إما مثمنة وإما مستديرة وإما غير موجودة أصلاً (لوحات) .

(ج) مناطق الانتقال فى عصر المماليك البحرية :

تطورت مناطق الانتقال السابقة تطوراً كبيراً خلال هذا العصر ، كما ظهرت مناطق انتقال مميزة تنبىء عن بزوغ أسلوب جديد بدأ يفرض نفسه تدريجياً على الساحة المعمارية حتى اكتسب الجولة وأصبح له الذيوع والانتشار فى عصر المماليك الجراكسة وبداية العصر العثمانى .

ويمكن أن نحصر ملامح التطور هذه فى عدة مراحل على النحو التالى :

(أ) المرحلة الأولى :

وتتكون منطقة الانتقال فيها من حطتين من المقرنصات تتكون كل واحدة منها من ثلاث حنايا ذات عقود منكسرة وتعد هذه المرحلة استمراراً لما وجد فى مناطق انتقال كل من قبة الخلفاء العباسيين وشجر

(١٠٧) **أحمد فكرى** : مساجد القاهرة ومدارسها جـ ٢ - ص ٨٦ ، خصائص عمارة القاهرة فى العصر الأيوبى (أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة - مارس - أبريل ١٩٦٩م جـ ١ - القاهرة ١٩٧٠م - ص ١٦٧ .

الدر ، وتتضح هذه المرحلة فى منطقة انتقال كل من : قبة ايدكين البندقدارى الأولى (٦٨٣ هـ / ١٢٨٣م) (لوحة ١٧) والصوابى حوالى (٦٨٤ هـ / ١٢٨٥م) (لوحة ١٨) وأحمد بن سليمان الرفاعى[١٠٨] (لوحة ١٨م) (٦٩٠ هـ / ١٢٩١م) وقبة محراب ابن طولون (٦٩٦ هـ / ١٢٩٦م) (لوحة ١٩) والقبة الحجرية الثالثة فى منشأة سلارسنجر (٧٠٣ هـ / ١٣٠٣م) (لوحة ٢٠) وقبة صفى الدين جوهر[١٠٩] (٧١٤ هـ / ١٣١٤م) (لوحة ٢١) وقبة أحمد المهمندار (٧٢٥ هـ / ١٣٢٤م) (لوحة ٢٢) وقبة شيخو

---

(١٠٨) تبدو منطقة انتقال هذه القبة لأول وهلة وكأنها تتكون من ثلاث حطات من المقرنصات ولكن الواقع غير ذلك فهى تتكون من حطتين من المقرنصات بكل حطة منها ثلاث حنايا معقودة بعقد منكسر تحصر فيما بينها شبابيك من ثلاث فتحات ويظهر ذلك جلياً عند مشاهدتنا لها من الخارج أما الذى حدث فى الداخل فهو أن الرقبة التى فتح بها ثمانية حنايا معقودة بعقد منكسر قد اندمجت مع منطقة الانتقال بحيث تبدو للرائى وكأنها تشكل حطة ثالثة من حطات منطقة الانتقال ومن المعروف أن نهاية منطقة الانتقال تتساوى مع نهاية صف النوافذ أو القمريات الموجودة بأواسط منطقة الانتقال ، وقد تنبه (كريزول) إلى ذلك فذكر أن هذه المنطقة تتكون من ثلاث صفوف من الحنايا إلا أنها تبدو من الخارج وقد تكونت من صفين فقط .

Creswell: Op. Cit. p. 220, pl. 118a.

(١٠٩) يذكر (كريزول) أنها تتكون من ثلاث صفوف من المقرنصات فيما بينها نوافذ مصمتة ثلاثية الفتحات .

Creswell: Op. Cit. p. 267.

والواقع أن هذه النوافذ الثلاثية محصورة فقط بين حطتين من المقرنصات بكل واحدة ثلاث حنايا معقودة بعقد منكسر (لوحة ٢١) أما الحطة الثالثة التى ظن (كريزول) أنها صفاً ثالثاً من صفوف منطقة الانتقال ما هى إلا مجموعة من الحنايا المعقودة بعقد منكسر أيضاً والخاصة برقبة القبة التى اندمجت مع منطقة الانتقال أسفلها بحيث بدت وكأنها تشكل هذا الصف الثالث .

(٧٥٠هـ / ١٣٤٩م)[١١٠] وقبة خوند طولبيه (٧٦٥هـ / ١٣٦٣م)[١١١] (شكل ٦٩) .

(ب) المرحلة الثانية :

وتتكون منطقة الانتقال فيها من ثلاث حطات من المقرنصات معقودة بعقد منكسر تتكون الحطة الأولى والثانية من ثلاث حنايا أما الثالثة فتتكون من أربع حنايا ، وتعد هذه المرحلة استمراراً لما وجد فى منطقة انتقال قبة الصالح نجم الدين أيوب (٦٤٨هـ / ١٢٥٠م) وتتضح هذه المرحلة فى منطقة انتقال قبة كل من زين الدين يوسف (٦٩٧هـ / ١٢٩٨م) (لوحة ٢٦) وسلار (٧٠٣هـ / ١٣٠٣م) (لوحة ٢٧) والقمارى (حوالى ٧٣٠هـ / ١٣٢٩ - ١٣٣٠م) وأبو اليوسفين (حوالى ٧٣٠هـ / ١٣٢٩ - ١٣٣٠م) وطشتمر حمص أخضر (٧٣٥هـ / ١٣٣٤م) (لوحة ٢٨) وخوند طغاى (لوحة ٢٩ ، شكل ٦٧) وأولاد الأسياد منتصف ق ٨هـ / ١٤م .

(١١٠) **سعاد ماهر** : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون - جـ ٣ - ص ٢٥٣ - لوحة ٢١١) .

سعاد حسين : أعمال الأمير شيخو العمرى الناصرى المعمارية بالقاهرة (رسالة ماجستير غير منشورة - جامعة القاهرة - ١٩٧٥م) - ص ١٤٣ .

(١١١) **سعاد ماهر** : المرجع السابق - جـ ٣ - لوحة رقم ٢٠٦ .

ويذكر د. عبد الرحمن فهمى « أن منطقة الانتقال هذه تتكون من ثلاث حطات من المقرنصات اتخذت العليا منها شباكاً » .

عبد الرحمن فهمى : بين قباب الخوندات المملوكية (٢ - قبة خوند طولبية) - منبر الإسلام - العدد ٨ - السنة ٣١ - ١٩٧٣م - ص ٢٠٩ .

والواقع أن منطقة الانتقال هذه تتكون من حطتين لا من ثلاث حطات بكل واحدة ثلاث حنايا معقودة بعقد منكسر ، إلا أنه يلاحظ هنا أيضاً أن الرقبة قد اندمجت مع

(ج) المرحلة الثالثة :

وتتكون منطقة الانتقال فيها من ثلاث حطات من المقرنصات المعقودة بعقد منكسر تتكون كل حطة منها من خمس حنايا ، وتتضح هذه المرحلة فى منطقة انتقال قبة كل من القبة الثانية فى ايدكين البندقدارى (٦٨٣ هـ / ١٢٨٣م) (لوحة ٣٠) والأشرف خليل (٦٨٧ هـ / ١٢٨٨م) (لوحة ٣١) وحسام الدين طرنطاى (٦٨٩ هـ / ١٢٩٠م) (لوحة ٣٢) وقبة ميضأة مسجد ابن طولون (٦٩٦ هـ / ١٢٩٦م) (لوحة ٣٣) وقبة الناصر محمد بالنحاسين (٧٠٣ هـ / ١٣٠٣م) (لوحة ٣٤) وقبة قراسنقر ق ٧ هـ / ١٣م (لوحة ٣٥) وقبة على بدر القرافى (٧٠٠ - ٧١٠ هـ / ١٣٠٠ - ١٣١٠م) (لوحة ٣٦) وقبة سنجر الجاولى (٧٠٣ هـ / ١٣٠٣م) (لوحة ٣٧) وقبة سنقر السعدى (حسن صدقه) (٧١٥ هـ / ١٣١٥م) (لوحة ٣٨) .

ونلاحظ أن حنايا هذه المرحلة قد صغرت عن مثيلتها من قبل وبعضها مجوف غائر وبعضها الآخر مسطح تبرز عقودها العليا ليحمل كل صف منها الذى يعلوه بحيث تبدأ الصفوف من المسقط المربع وتحوله إلى مثمن أو مضلع كثير الاضلاع تأتى فوقه بداية دائرة القبة .

وعند تحليلنا لمناطق انتقال هذه المرحلة يتبين لنا أنها فى جوهرها تتكون من عقدين ثلاثين مركبين فوق بعضهما ويشكلان فى النهاية هيئة مثلث قمته لأعلى وقاعدته لأسفل شغل داخله بالحنايا المقرنصة

منطقة الانتقال بحيث تبدو وكأنها جزء منها . وقد فتح بها ثمانية حنايا بداخلها ثمانية نوافذ معقودة بعقد منكسر بواقع حنية بداخلها نافذة بأعلى منطقة الانتقال والنوافذ الثلاثية بأوسطها وقد تكرر هذا الوضع بعد ذلك فى قبة يونس الدوادار (أنس) بالصحراء (لوحة) .

التى تكون هيئة العقدين ونلاحظ أيضاً أن قمة العقد العلوى قد شغلت من جانبيها بأربعة حنايا بواقع حنيتين فى كل جانب ، أما القوسان الجانبيان فيحيط بهما حنية فى كل جانب منهما وهذا يدل على أن التطور الذى حدث فى هذه المرحلة يتمثل فى تكرار هيئة العقد الثلاثى مرتين مع شغل الفراغ بينه وبين شبابيك أواسط منطقة الانتقال بعدد من الحنايا التى تبدو أحياناً فى بعض الأمثلة مسطحة (أى غير مجوفة كثيراً) إذا ما قورنت بمثيلتها الموجودة داخل العقدين الثلاثيين .

المرحلة الرابعة :

وتتكون منطقة الانتقال فيها من أربع حطات[١١٢] من المقرنصات ذات العقود المنكسرة تتكون كل من الحطة الأولى والثانية والثالثة من خمس حنايا أما الرابعة فتتكون من ست حنايا ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال قبة بيبرس الجاشنكير (٧٠٦ - ٧٠٩ هـ / ١٣٠٦ - ١٣٠٩ م) (لوحة ٤٠) وهذه المرحلة تشبه المرحلة السابقة إلا أنها تتميز عنها بإضافة حطة رابعة .

المرحلة الخامسة :

وتتكون منطقة الانتقال فيها من خمس حطات من المقرنصات ذات العقود المنكسرة ويتضح ذلك فى منطقة انتقال قبة صرغتمش

(١١٢) **كمال سامح** : العمارة الإسلامية فى مصر - ص ٨٤ - ٨٥ .
صالح لمعى : التراث المعمارى الإسلامى فى مصر - ص ١٠٢ .
محمد مصطفى نجيب : مدرسة الأمير كبير قرقماس - ص ٤٩٦ .
سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون - ج ٣ - ص ١٧٢ .
ميرفت عيسى : مدرسة خوند بركة - ص ١٠٢ .
Davis: Op. Cit. p. 28.
Creswell: Op. Cit. p. 251.

(٧٥٧هـ / ١٣٥٦م) وتتميز هذه المرحلة عن المرحلة السابقة بزيادة الحطة الخامسة التى تعد ذروة ما بلغته مناطق الأنتقال فى عصر المماليك البحرية(١١٣) .

مما سبق يمكن القول أن مناطق الانتقال فى عصر المماليك البحرية لم تختلف من حيث التكوين المعمارى عن مثيلاتها فى العصر الأيوبى إلا أنها تميزت عنها بزيادة عدد الحطات إلى خمسة بدلاً من اثنتين أو ثلاثة فى العصر الأيوبى وقد حدث ذلك نتيجة تكرار هيئة العقد الثلاثى مرتين فوق بعضهما مع شغل الفراغ ما بين طاقية العقد والريشتين وبين شبابيك أواسط منطقة الانتقال بعدد آخر من الحنايا الجانبية التى تبدو أحيانا مسطحة وأحياناً أخرى مجوفة .

ويمكن تقسيم أنواع مناطق الانتقال الأخرى التى ظهرت فى عصر المماليك البحرية إلى ثلاثة أنواع :

١ – النوع الأول : وقد عاد فيه استخدام الحنايا الركنية البسيطة من جديد كمناطق انتقال لبعض القباب التى أقيمت فى هذه الفترة ومن أمثلتها منطقة انتقال قبة محراب مسجد آق سنقر (٧٤٧هـ / ١٣٤٦م) وقبة مدفن كجك الملحقة بنفس المسجد والقبة الشرقية الملحقة بتربة خوند طغاى أم أنوك (شكل ٦٧) وقبة تنكزبغا بقرافة السيوطى (لوحة ٤١) وقبته الأخرى بمنشية ناصر وقبتى المدفنين الملحقين بمدرسة

(١١٣) **كمال سامح** : المرجع السابق – ص ٨٥ .
محمد مصطفى نجيب :المرجع السابق – ص ٤٩٦ .
سعاد ماهر : المرجع السابق – ص ٢٧٢ .
محمد عبد الستار : نظرية الوظيفية - ص ٤٠٠ ٤٠١
Davis: Op. Cit. p. 28.

أم السلطان شعبان (خوند بركة)[١١٤] .

٢ - النوع الثانى : ويتكون من أربع حطات من المقرنصات تشكل فى مجموعها هيئة مثلث قمته لأعلى وقاعدته لأسفل شغل داخله بعدد من الحنايا تبدأ فى منطقة انتقال قبة سنجر المظفر ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢ م بحنية واحدة فحنيتين ثم ثلاثة فخمسة حنيات ونلاحظ أن الحطة الرابعة ذات الخمس حنايا تلتحم مع الحنايا التى تعلو أواسط منطقة الانتقال ، أما فى قبة بحرى تنكزبغا (ق ٨ هـ / ١٤ م) (لوحة ٤٢) فتبدأ من أسفل بسبع حنايا تليها ستة ثم ثلاثة فواحدة والجميع داخل إطار على هيئة عقد نصف دائرى .

ونلاحظ أن منطقة انتقال هاتين القبتين من الأمثلة الفريدة فى العمارة الإسلامية بصفة عامة والعمارة المملوكية بصفة خاصة حيث لم يتكرر ظهورهما (فيما أعلم) فى أى من مناطق الانتقال الأخرى ، كذلك فإن منطقة انتقال قبة ايدمر البهلوان[١١٥] (قبل ٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م) (بشارع أم الغلام بحى سيدنا الحسين) تعد من الأمثلة الفريدة أيضاً لمناطق الانتقال وربما تعتبر تطوراً للحنايا المقرنصة ذات الدلايات التى تحمل طواقى المداخل فى عصر المماليك البحرية كما هو الحال فى طاقية مدخل كل من منشأة سنقر السعدى (:٧١٥ هـ / ١٣١٥ م) وأحمد المهمندار (٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م) وظهرت أيضاً فى

(١١٤) **حسن عبد الوهاب** : تاريخ المساجد الأثرية - جـ ١ - ص ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٨٦ .

محمد مصطفى نجيب : مدرسة خوند بركة (بحث فى كتاب القاهرة)- ص ١٩٨ .

ميرفت عيسى : مدرسة خوند بركة - ص ١٠٢ .

Hauteceour et Wiet: Op. Cit. Vol. 2. pl. 141.

(١١٥) **Al-Gayet:** L'Art Arabe. p. 145. Fig.53.

طاقية مدخل خانقاه ومسجد شيخو (٧٥٠هـ / ١٣٤٩م) ومدرسة صرغتمش (٧٥٧هـ / ١٣٥٦م) وتضيف منطقة انتقال قبة يونس الدوادار (بباب الوزير) (قبل ٧٨٣هـ / ١٣٨٢م) (لوحتا ٤٧ ، ٤٧٠ م (وهى التى تتكون من أربع حطات من المقرنصات - تعتمد على ذيل هابط مع وجود عدد من الحطات المقرنصة حل محل القمريات التى كانت تشغل أواسط منطقة الانتقال) شكلاً جديداً لم يتكرر فى مناطق انتقال القباب المملوكية ، وربما كان لتصميم هذه القبة على غرار القباب السمرقندية أثره فى وجود هذا الشكل الفريد لمنطقة الانتقال .

٣ - النوع الثالث : وهو عبارة عن أربعة مثلثات فى الأركان قمتها لأسفل وقاعدتها لأعلى بواقع مثلث فى كل ركن من الأركان وقد شغل داخلها بمجموعة من حطات المقرنصات المتصاعدة لأعلى حتى تلتحم مع بداية رقبة القبة .

وعلى الرغم من وضوح اختلاف التكوين المعمارى بين مناطق انتقال النظام القديم (واقصد النظام الذى بغت حطاته خمس فى قبة صرغتمش) وبين هذا النظام الجديد المتطور لمناطق الانتقال إلا أن غالبية العلماء والباحثين لم يلحظوا هذا الاختلاف ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد وإنما تناولوا دراسة مناطق انتقال هذا النظام المتطور على أنها مجرد زيادة فى عدد حطات المقرنص فى النظام القديم[١١٦] .

---

(١١٦) **كمال سامح** : تطور القبة فى العمارة الإسلامية - ص ٢٢ ، العمارة الإسلامية فى مصر - ص ٨٥ .

صلاح لمعى : التراث المعمارى الإسلامى - ص ١٠٢ .

حسنى نويصر : منشآت السلطان قايتباى الدينية بمدينة القاهرة ص ٧٠ .

محمد عبد الستار : نظرية الوظيفية - ص ٤٠٠ ٤٠١

ويذكر (د. مصطفى نجيب) أن المعمار بدأ يمهد لهذا النوع منذ أواخر ق ٧ هـ / ١٣م . وذلك بمنطقة انتقال قبة فاطمة خاتون (أم الصالح) (٦٨٢ - ٦٨٣ هـ / ١٢٨٣ - ١٢٨٤م) (لوحة ٤٣/ شكل ٦٤) ثم اكتملت هيئة حطات هذا النظام بمنطقة انتقال سنجر المظفر[١١٧] (٧٢٢ هـ / ١٣٢٢م) إلا أنه لم يستعمل على نطاق واسع إلا فى بداية النصف الثانى من ق ٨ هـ / ١٤م واستمر حتى أواخر ق ١٠ هـ / ١٦م وما بعده[١١٨] .

والواقع أن منطقة انتقال[١١٩] قبة فاطمة خاتون (لوحة ٤٣) (والتى تتكون من عقد مدبب يحوى بداخله عقداً منكسراً أصغر منه أسفله ثلاث حطات تبدأ بحنية فاثنتين فواحدة وتعتمد الحطات من أسفل على ذيل هابط) يختلف تكوينها إلى حد كبير عن تكوين مناطق انتقال هذا النظام المتطور كما أنها تتفق مع المقرنصات السورية كما هو الحال فى مقرنصات قبة قاعة مطبخ العجمى (ق ٧ هـ / ١٣م)[١٢٠] .

ويمكن القول أن منطقة الانتقال على هيئة مثلث قمته لأسفل وقاعدته لأعلى قد ظهرت أولاً فى بلاد الشام منذ العصر الأيوبى واستمرت فى العصر المملوكى وقد عرفت هناك باسم « السراويل

---

(١١٧) سبق أن تناولنا وصف منطقة انتقال هذه القبة التى يختلف تكوينها تماماً عن تكوين مناطق انتقال النظام المتطور . انظر ص ٩٠١ من هذا الكتاب .

(١١٨) محمد مصطفى نجيب : مدرسة الأمير كبير قرقماس - ص ٤٩٦ .

(١١٩) تذكر (ديفونشير) أن منطقة انتقال هذه القبة ذات سمة غير معتادة أو غير مألوفة .

Devonshire: Eighty Mosques and other Islamic Monuments in Cairo. p. 29.

(١٢٠) **حسن عبد الوهاب** : التأثيرات المعمارية بين سوريا ومصر - ص ٩٣ .

الحلبية » لأنها ظهرت أولاً بحلب ثم انتقلت إلى دمشق وحماه ومن أمثلتها قبة تربة مدرسة شاد بخت (٥٨٩ هـ / ١١٩٣م) وقباب كل من المدرسة الظاهرية والقليجية والتربة القيمرية وجامع الحسنين فى حماه ومبنى الفردوس بحلب (٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م)[١٢١] . وعندما ظهرت المداخل المقرنصة[١٢٢] فى العمارة المملوكية فى أواخر ق ٧ هـ / وبداية ٨ هـ استخدمت هذه المثلثات كمناطق انتقال تحمل نصف القبة المتوجة لحجر المدخل ومن أمثلتها طاقية مدخل خانقاه بيبرس الجاشنكير[١٢٣] (٧٠٦ - ٧٠٩ هـ / ١٣٠٦ - ١٣٠٩م) وهى عبارة عن نصف قبة تحملها منطقة انتقال عبارة عن مثلث قمته لأسفل وقاعدته لأعلى يحتوى على أربعة حنايا مقرنصة تعتمد على ذيل هابط .

---

(١٢١) **عادل نجم عبو** : التربة فى العمارة الأيوبية فى سوريا - ص ٢٧٩ - ٢٨٠ . الرباط فى العمارة الأيوبية فى سوريا (مجلة كلية الآثار - جـ ٢ - القاهرة ١٩٧٨م) - ص ٤٢ .

(١٢٢) يذكر كريزول أن هذا النوع من المداخل ظهر فى بلاد الشام أولاً قبل ظهوره فى مصر بنحو قرن من الزمان وأقدم مثال لها فى مدرسة شاد بخت بحلب ٥٨٩ هـ / ١١٩٣م وتوالى ظهورها بعد ذلك ، أما فى مصر فأول مثال لها فى مدخل زاوية زين الدين يوسف ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧م .

Creswell: Op. Cit. pp. 146 - 147, 230 - 231.

أما الباحث (سيف النصر أبو الفتوح) فيذكر أن أقدم مثال هو مدخل قصر الين أق الحسامى ٦٩٣ هـ / ١٢٩٣م .

سيف النصر أبو الفتوح : مداخل العمائر المملوكية - ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(١٢٣) **حسن عبد الوهاب** : تاريخ المساجد الأثرية - جـ ٢ - لوحة رقم ٧٠ .

ومن الأمثلة الأخرى للمداخل ذات الطواق المقامة على حطات من المقرنصات يوجد أسفلها مثلث بداخله حنايا مقرنصة طاقية مدخل كل من زين الدين يوسف وسنقر السعدى وأحمد المهمندار .

Creswell: Op. Cit. p. 83a, 102c, 104b.

مما سبق يمكن القول بأن منطقة الانتقال على هيئة مثلثات قد ظهرت فى مصر فى أواخر ق ٧ هـ وبداية ق ٨ هـ على عكس ما يعتقد بعض الآثريين من أنها لم تظهر قبل منتصف ق ٨ هـ / ١٤ م[١٢٤] . ومن أمثلة مناطق انتقال القباب فى هذه الفترة منطقة انتقال القبة المعروفة بقبة المنوفى[١٢٥] (بقرافة السيوطى) (لوحة ٤٤ ، شكل ٦٥) وتتكون من ثلاث حطات من المقرنصات تعتمد على ذيل هابط تشكل فى مجموعها هيئة مثلث قمته لأسفل وقاعدته لأعلى وتحتوى الحطة الأولى على حنية واحدة والحطة الثانية على حنيتين والحطة الثالثة على ثلاث حنايا وتشبه منطقة الانتقال هذه منطقة انتقال تصف القبة المتوجه لحجر مدخل بيبرس الجاشنكير .

وظهر هذا النوع أيضاً فى مناطق انتقال القباب الخشبية التى تعلو محراب كل من مسجد الناصر محمد بالقلعة (٧٣٥ هـ / ١٣٣٥ م) ومسجد الطنبغا المارداني (٧٤٠ هـ / ١٣٤٠ م) وقبة المدفن الملحق بالمدرسة الاقبغاوية فى الأزهر (٧٤٠ هـ / ١٣٤٠ م) وقبة إيوان

وأيضاً طاقية مدخل صرغتمش .

Houtecoeur et Wiet: Op. Cit. Vol. 2. Pl. 123.

وأيضاً طاقية المدخل الشمالى الغربى لمسجد الناصر محمد بالقلعة (٧٣٥ هـ / ١٣٣٥ م) .

(١٢٤) **Laila Ali Ibrahim:** The transitional Zones of Domes in Cairene Architecture. p. 9.

(١٢٥) اعتماداً على المقارنات المعمارية بين هذه القبة وبين منشآت أواخر ق ٧ هـ وأوائل ق ٨ هـ يرجح المرحوم (حسن عبد الوهاب) أن هذه القبة منشأة فى الفترة ما بين ٦٩٠ - ٧١٠ هـ / ١٢٩٠ - ١٣١٠ م .

حسن عبد الوهاب : العمارة الإسلامية دولة المماليك البحرية (مجلة العمارة - المجلد الرابع - العدد ١ ، ٢ - ١٩٤٢ م) - ص ٦١ - ٦٢ .

مميزات العمارة الإسلامية فى القاهرة - ص ١٨٢ - ١٨٣ .

مدرسة صرغتمش (٧٥٧هـ / ١٣٥٦م) وقبة مدفن السلطان حسن[١٢٦] (٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) وتتكون منطقة الانتقال فى الأمثلة السابقة من أربعة مثلثات بواقع مثلث فى كل ركن من أركان مربع القبة العلوى شغل داخلها بالحطات المقرنصة يبلغ عددها خمس حطات فى كل من الناصر محمد والماردانى[١٢٧] والاقبغاوية وست حطات فى صرغتمش وسبع حطات فى قبة مدفن السلطان حسين.

ومن أمثلة ذلك أيضا القبة التى تعلو دركاة مدخل مدرسة السلطان حسن[١٢٨] ومنطقة انتقال هذه القبة عبارة عن أربعة مثلثات قمتها لأسفل وقاعدتها لأعلى بواقع مثلث فى كل ركن شغل داخله بستة حطات من الحنايا المزخرفة باشعاعات وتنتهى هذه الحطات الست عند نهاية العقود الأربعة التى تتوج الدخلات التى تحيط بالدركاة وتعلو هذه الحطات الستة ثلاث حطات أخرى من المقرنصات ذات الدلايات التى تمتد لتشغل أيضاً أواسط منطقة الانتقال ملتحمة مع رقبة القبة التى تعلوها ، ومن ثم يمكن القول بأن المعمار قد جمع فى منطقة انتقال قبة دركاة مدخل السلطان حسن بين المثلثات ذات الحنايا تعلوها الحنايا المقرنصة ذات الدلايات وهو نفس التكوين الذى شاع استخدامه أيضاً فى المداخل ذات الطواق المقرنصة ومن أبرز أمثلتها

---

(١٢٦) **Houtecoeur et Wiet:** Op. Cit. Vol. 2. pl. 133.

(١٢٧) نلاحظ أن الحطات الثلاث الأولى فى كل من منطقة انتقال الناصر محمد والماردانى تنتهى عند نهاية القمريات التى تشغل أواسط منطقة الانتقال أما الحطتان الرابعة والخامسة فتمتدان أعلى القمريات التى تشغل أواسط منطقة الانتقال .

(١٢٨) **Laila Ali Ibrahim:** Op. Cit. p. 12. Fig. 13.

وانظر أيضاً صورة هذه المنطقة فى :

فريد شافعى : العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها ص ١١٣ شكل ١٢٩ .

المعاصرة تقريباً لمدرسة السلطان حسن طاقية مدخل مدرسة صرغتمش (٧٥٧هـ / ١٣٥٦م) .

ويمكن القول بأن أسلوب الجمع بين هذين النوعين لم يحدث فى مناطق انتقال القباب التى تعلو المدافن وإن كان يوجد بين هذه الحنايا أحياناً دلايات ، ومن أمثلة مناطق انتقال القباب التى تعلو المدافن فى عصر المماليك البحرية منطقة انتقال كل من القبتين اللتين على جانبى إيوان التربة[١٢٩] السلطانية بقرافة السيوطى (أواخر ٨هـ / ١٤م) وهى عبارة عن أربعة مثلثات قمتها لأسفل وقاعدتها لأعلى بواقع مثلث فى كل ركن من الأركان شغل داخله بعدد من الحطات المقرنصة ذات

---

(١٢٩) يذكر (كريزول) أن وجود القبتين على جانبى الايوان يعد مثلاً فريداً لا يوجد له شبيه آخر فى مصر .

Creswell: Abrief Chronology. p. 128.

والواقع أن هذا القول مبالغ فيه إلى حد كبير لأنه ظهرت فى مصر أمثلة أخرى منها القبة المعروفة بقبة المنوفى التى لاتزال باقية فى قرافة السيوطى على يمين الإيوان وكانت تقابلها قبة أخرى على يسار الايوان قام بنشرها المرحوم حسن عبد الوهاب إلا أنها هدمت .

حسن عبد الوهاب : العمارة الإسلامية دولة المماليك البحرية (مجلة العمارة) – ص ٦٢ .

ومن أمثلتها أيضاً قبتا تربة خوند طغاى أم أنوك والتى لم يتبق منها إلا اليمنى فى حالتها الجيدة أما اليسرى فقد فقدت قمتها ولاتزال منطقة انتقالها باقية حتى اليوم . انظر (شكل ٢٢) .

أما عن تاريخ التربة السلطانية فقد أرخها كريزول بالربع الثانى من ق ٩هـ / ١٥م وأرجعها إلى أم السلطان حسن اعتماداً على ما جاء فى وثيقة مسجد مسيح باشا ٩٨٦هـ / ١٥٧٨م التى جاء فيها أن المسجد يقع فى مواجهة ضريح أم السلطان حسن .

Creswell: Op. Cit. pp. 128 - 129.

أما المرحوم محمد رمزى فقد أرجعها إلى النصف الثانى من ق ٨هـ / ١٤م . انظر محمد حمزة قرافة القاهرة ص ٢٧٢ حاشية ٢

الدلايات يبلغ أربعة فى القبة اليمنى (لوحة ٤٥) وخمسة فى القبة اليسرى (لوحة ٤٦) التى تمتد فيها الحطة الخامسة لتشغل أواسط منطقة الانتقال .

وقد ظهر هذا النوع أيضاً فى منطقة انتقال قبة مدفن أولجاى اليوسفى (٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) وتتكون من أربعة مثلثات قمتها لأسفل وقاعدتها لأعلى بواقع مثلث فى كل ركن من الأركان شغل داخله بخمسة حطات من الحنايا المقرنصة .

مما سبق يمكن القول بأن هذا النوع المتطور لمناطق الانتقال على الرغم من ظهوره فى عصر المماليك البحرية إلا أن أمثلته قليلة ولم يحقق له الذيوع والانتشار إلا فى عصر المماليك الجراكسة .

(د) مناطق الانتقال فى عصر المماليك الجراكسة :

شاع استخدام مناطق الانتقال المتطورة فى غالبية القباب الجركسية وإن كان هذا لم يمنع وجود أنواع أخرى لمناطق الانتقال خلال هذا العصر سنشير إليها فيما بعد .

أما بالنسبة لمناطق الانتقال المتطورة فيذكر (د. مصطفى نجيب) أن عدد حطات هذا النظام المبتكر بدأ من حيث انتهى النظام القديم أى بخمسة حطات ثم تزايد حتى بلغ الضعف أى عشرة حطات وهو آخر ما وصلت إليه حطات مناطق الانتقال فى قباب العصر الجركسى بفضل هذا النظام(١٣٠) .

والواقع أن عدد حطات هذا النظام لم تبدأ بخمسة كما يرى

---

(١٣٠) **محمد مصطفى نجيب** - مدرسة الأمير كبير قرقماس ص ٤٩٧

(د. نجيب لأنه توجد نماذج لمناطق انتقال يبلغ عدد حطاتها ثلاثة وأخرى يبلغ عدد حطاتها أربعة هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن آخر ما وصل إليه عدد حطات هذا النظام تجاوز العشرة حطات وبلغ ثلاثة عشرة حطة فى منطقة انتقال قبة الغورى بالغورية (٩٠٩ هـ / ١٥٠٣ م)[١٣١] .

هذا ويلاحظ أن مناطق الانتقال المتطورة تختلف عن مثيلتها فى النظام القديم من حيث :

(أ) تغير شكل عقود الحنايا من العقد المنكسر إلى العقد المدبب .

(ب) أن مثلثات منطقة الانتقال لا تقام مباشرة فوق مربع القبة وإنما يفصلها عنه كابولى حجرى بارز ومن ثم ظهرت منطقة الانتقال وكأنها كيان معمارى مستقل بذاته أما فى النظام القديم فكانت منطقة الانتقال تقام مباشرة بأعلى أركان مربع القبة ملتصقة به يجرى أسفلها شريط كتابى أو زخرفى فى بعض الأحيان ، إلا أنه حدث أن اندمجت بعض مناطق انتقال هذا النظام المتطور مع مربع القبة أسفلها ، ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال قبة برقوق بالنحاسين وقبة الشيخ عبد الله المنوفى بالصحراء (لوحة ٥٧) وقبة تمراز الأحمدى بالسيدة زينب .

ويمكن تقسيم مناطق انتقال القباب الجركسية التى اتبعت هذا النظام المتطور إلى المجموعات التالية :

---

(١٣١) **محمد مصطفى نجيب** : نفس المرجع (الكتالوج) - شكل ٢٠٩
محمد فهيم : مدرسة السلطان قانصوه الغورى - ص ١٠٠ .

المجموعه الأولى :

وهى عبارة عن أربع مثلثات قمتها لأسفل وقاعدتها لأعلى بواقع مثلث فى كل ركن من الأركان شغل داخلها بثلاث حطات من الحنايا المقرنصة ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال قبة الشيخ عبد الله المنوفى بالصحراء (٨٧٩هـ / ١٤٧٤م) (لوحة ٥٧) .

المجموعه الثانية :

ويشغل كل مثلث من المثلثات الأربعة التى بالأركان أربع حطات من الحنايا المقرنصة ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال قبة كل من فيروز الساق (٨٣٠هـ / ١٤٢٦م) وجانى بك بالصحراء (لوحة ٥٠ ، شكل ٧٢) وقراقجا الحسنى (السادات الشناهره) (لوحة ٥٢) والقبة المعروفة خطأ بقرقماس (لوحة ٥٥) وقبة برسباى البجاسى (لوحة ٥٣ ، شكل ٨٢) وقبة أولاد قايتباى المعروفة بقبة الكَلشنى (لوحه ٥٦) .

المجموعه الثالثة :

ويشغل كل مثلث من المثلثات الأربعة التى بالأركان خمس حطات من الحنايا المقرنصة ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال قبة كل من برقوق بالنحاسين ومحمود الاستادار (محمود الكردى) بالخيامية والأشرف برسباى بالصاغة وجانى بك بالمغربلين ويشبك أخو برسباى بالصحراء (لوحة ٥٠ م) والسبع بنات بالصحراء (لوحة ٥٤ ، شكل ٨٠) وتمراز الأحمدى بالسيدة زينب وقجماس الاسحاقى بالدرب الأحمر وعصفور بالصحراء (لوحة ٥٩ ، شكل ٩٠) وجانم البهلوان بالسروجية .

المجموعة الرابعة :

ويشغل كل مثلث من المثلثات الأربعة التى بالأركان ستة حطات من الحنايا المقرنصة ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال قبة كل من اينال اليوسفى بالخيامية ونصر الله (لوحة ٥١ ، شكل ٧٨) وسودون القصروى وأزرمك (لوحة ٦٠ ، شكل ٨٩) .

المجموعة الخامسة :

ويشغل كل مثلث من المثلثات الأربعة التى بالأركان سبع حطات من الحنايا المقرنصة ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال قبة كل من قانيباى المحمدى بالصليبة (وهى منطقة انتقال خشبية) ومنطقة انتقال قبة حمام المؤيد شيخ (لوحة ٤٩) ومنطقة انتقال قبة كل من السلطان اينال بالصحراء والعادل طومانبى بالعباسية (شكل ٨٧) وخايربك بباب الوزير .

المجموعة السادسة :

ويشغل كل مثلث من المثلثات الأربعة التى بالأركان ثمانى حطات من الحنايا المقرنصة ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال قبتى خانقاه الناصر فرج بالصحراء (لوحة ٤٨) وقبة برسباى بالصحراء وقانصوه أبو سعيد بالصحراء (شكل ٨٦) والزمر (لوحة ٦١ ، شكل ٨٤) وبيبرس الخياط بالجودرية .

المجموعة السابعة :

يشغل كل مثلث من المثلثات الأربعة التى بالأركان تسع حطات من الحنايا المقرنصة ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال قبة كل من المؤيد شيخ وقايتباى بالصحراء وطراباى الشريفى بباب الوزير وسودون أمير مجلس (لوحة ٥٨) وأمير كبير قرقماس .

المجموعة الثامنة :

يشغل كل مثلث من المثلثات الأربعة التى بالأزكان ثلاثة عشرة حطة ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال قبة الغورى .

ويتضح من التوزيع إلسابق أن عدد حطات المقرنصات فى كل مثلث من حيث الزيادة أو القلة لا يرتبط بفترة زمنية معينة أو بمعنى آخر لم تسلك مناطق الانتقال المتطورة النظام المألوف من حيث ظهور الأمثلة الأقل عدداً أولاً تليها الأمثلة الأكثر عدداً وهكذا ، فهذه القاعدة لم تكن متبعة فى غالب الأحيان كما أنه ظهرت أيضاً مناطق انتقال فى فترة واحدة وأحياناً فى منشأة واحدة ومع ذلك اختلف عدد حطات المثلثات فى كل منهما عن الآخر .

أما عن النسب المعمارية الخاصة بمنطقة الانتقال فيذكر (دللى) أنه يقل سمك جدرانها عن سمك جدران المربع السفلى بنحو ٢٥ سم إلى ٤٠ سم ولكن نظراً لبروز وجهها الداخلى يزيد ركوبها على الخارج بضعة سنتيمترات أما نسبها الداخلية فهى أكبر قليلاً وتختلف نسبة الارتفاع إلى العرض من ١٠/٥ إلى ١٠/٦ أو أكثر قليلاً وإذا قلت النسبة عن ١٠/٥ فإن عروض طبقات الدلايات المقرنصة تصير غير متناسبة(١٣٢) ، أما (د. على غالب) فقد أشار إلى النتائج التالية :

(أ) يساوى ارتفاع منطقة الانتقال نصف ارتفاع الجزء السفلى (مثل جانى بك ونصر الله) أو يساوى ٠,٦١٨ من طول الضلع الداخلى (مثل السبع بنات – ارزمك) .

(ب) ارتفاع منطقة الانتقال من الداخل بالنسبة لطول المربع الداخلى

---

(١٣٢) **دللى** . العمارة العربية بمصر – ص ٩ – ١٠ .

يساوى ١ : ١,٦١٨ (مثل جانى بك ، نصر الله ، السبع بنات وبرسباى البجاسى) أو يساوى ١ : (٢ × ٠,٦١٨) (مثل ارزمك) أو يساوى ١ : ٢ مثل اذدمر أو يساوى ٥/٢ : ١ مثل عصفور .

(جـ) أن سمك حوائط منطقة الانتقال يساوى ٣/٤ سمك حوائط الجزء السفلى (مثل جانى بك) أو يساوى ثلثى سمك حوائط الجزء السفلى (مثل نصر الله ، برسباى البجاسى ، عصفور واذدمر) أو يساوى نصف سمك حائط الجزء السفلى (مثل السبع بنات وازرمك)[١٣٣] .

الأنواع الأخرى لمناطق الانتقال الجركسية :

يمكن أن نميز بين نوعين آخرين شاع استخدامهما فى بعض القباب الجركسية وهما :

النوع الأول :

ويعتبر استمراراً لمناطق انتقال النظام القديم غير المتطور ويمكن تقسيمه على النحو التالى :

(أ) مناطق انتقال تتكون من حطتين من المقرنصات المعقودة بعقد منكسر تحتوى كل حطة منهما على ثلاث حنايا ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال قبة كل من يونس الداودار (أنس) بالصحراء (لوحة ٢٣ ، شكل ٧٠) وقبة محراب خانقاه الناصر فرج وابن غراب بالصحراء وتغرى بردى بالصليبة وخديجة أم

---

(١٣٣) على غالب : قباب القاهرة فى عصر المماليك الجراكسة – ص ١٤ – ١٥ .

الأشرف بالصحراء (لوحة ٢٥ ، شكل ٧٦) وايتمش البجاسى بباب الوزير .

(ب) مناطق انتقال تتكون من ثلاث حطات معقودة بعقد منكسر تحتوى كل حطة منها على خمس حنايا ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال قبة قانصوه أبو سعيد بالمحجر (لوحة ٣٩) .

النوع الثانى :

وتتكون منطقة الانتقال فيه من أربع حنايا ركنية كبيرة معقودة بعقد مدبب بواقع حنية فى كل ركن من الأركان تحوى بداخلها عقد ثلاثى الفصوص وقد أوجد المعمار أيضاً على جانبى كل حنية من الحنايا أى فى كوشتيها مثلثين قمتهما لأسفل وقاعدتهما لأعلى (إلا أنهما خاليين من المقرنصات) ليشاركا منطقة الانتقال فى إكمال استدارة القبة .

ويبدو أن اتساع مربع القبة هو الذى دفع المعمار إلى اختيار هذا النوع من مناطق الانتقال حتى تستطيع أن تحمل فوقها القبة الضخمة ومن ثم جعل منطقة الانتقال تبدأ من ثلثى جدران المربع المقامة عليه القبة كما جعل قمتها تنتهى مع انتهاء المربع ولذلك لا نجد لهذه المنطقة مظهراً خارجياً .

وقد اختار المعمار العقد الثلاثى الفصوص (المدائنى) وذلك لتوزيع الضغط الطارد الناتج عن جسم القبة على جدران المربع المقامة عليه لأن العقد المدائنى فى ذلك الوضع له ثلاثة أرجل (ريش) تتمركز فى كل من الركن والضلعين الآخرين وبهذا يزيد البناء رسوخاً

وثباتاً ويعطيه قوة على تحمل الضغط الناتج من القبة[١٣٤] .

وقد ظهرت مناطق الانتقال هذه فى قبة معبد الرفاعى بالصحراء (لوحة ٦٢ – ٦٢ م ، شكل ٧٤) التى جددها الأمير يشبك من مهدى وفى قبتى الأمير نفسه وهما القبة الفداوية (لوحة ٦٣ – ٦٣ م) والقبة الموجودة عند كوبرى القبة .

وقد اختلف الباحثون بشأن أصل هذه الحنايا فمنهم من رأى أنها متأثرة بمثيلاتها فى القباب السورية وأنها حدثت نتيجة لامتزاج القبو السورى بالعقود المفصصة الثلاثية المعروفة فى إيران منذ ق ٥ هـ / ١١ م والمستخدمة فى المسجد الجامع بأصفهان وقد نشأ عنها ذلك الشكل الجديد من العقود والمستعملة فى قباب الأمير يشبك[١٣٥] .

ومنهم من يرى أن أقدم مثال لاستعمال الحنية الثلاثية يوجد فى ضريح عرب عطا ق ٤ هـ / ١٠ م من العمارة القرخانية التركية بجنوب الروسيا حالياً ثم شاع استخدامها بعد ذلك عند السلاجقة العظام وسلاحقة الأناضول وعنهم انتقلت إلى مصر فظهرت فى القباب السابقة[١٣٦] .

ومنهم من عقد مقارنة بين العقد المدائنى فى مناطق انتقال هذه القباب وبين مثيله فى المداخل المملوكية[١٣٧] على اعتبار أن المعمار

(١٣٤) **محمد مصطفى نجيب** : العمارة فى العصر العثمانى (بحث فى كتاب القاهرة) – ص ٢٥٨ – ٢٥٩ .

(١٣٥) **سامى عبد الحليم** : الأمير يشبك من مهدى وأعماله المعمارية – ص ١٢٣ .

(١٣٦) **على المليجى** : الطراز العثمانى فى عمائر القاهرة الدينية (رسالة دكتوراه غير منشورة - جامعة أسيوط ١٩٨٠م) – ص ٣٣٢ .

(١٣٧) وممن أشار إلى هذا النوع من التشابه أيضاً السيدة ليلى على إبراهيم فى مقالها

المملوكى سيعالج مناطق انتقال القباب مثل معالجته لانصاف القباب المتوجه للمداخل لأن المشاكل المعمارية واحدة بينهما ومن ثم كان يحدث بينهما أحياناً تأثير متبادل ، وعلى ضوء ذلك استنتجت صاحبة هذا الرأى أن التشابه بين تصميم الحنية ذات العقد الثلاثى والمداخل المملوكية المتأخرة يجب فقط على جزء من التساؤل الخاص بأصل هذه الحنايا ، أما الجزء الآخر الذى يكمل الإجابة على هذا التساؤل فيكمن فى العمارة العثمانية فى غرب الأناضول التى وجدت فيها مناطق انتقال مشابهة جداً لمناطق انتقال قباب يشبك ، وعلى سبيل المثال مسجد أورخان فى جبزة منتصف ق ٨ هـ / ١٤م ومسجد بايزيد فى Mudurum ولم يلبث أن هجر هذا النوع من مناطق الانتقال فى العمارة العثمانية وفضل عنه طراز آخر من مناطق الانتقال ، وقد أدخل طراز الحنايا الأناضولية لأول مرة فى عمارة القاهرة فى النصف الأول من ق ٩ هـ / ١٥م على الأقل ، ومن الأمثلة التى توضح ذلك منطقة انتقال قبة معبد الرفاعى(١٣٨) .

والواقع أن منطقة انتقال قبة الرفاعى لا ترجع إلى النصف الأول من ق ٩ هـ / ١٥م لأن الأمير يشبك من مهدى قام بتجديدها على غرار القباب التى أقامها ويدل على ذلك التشابه الكبير بين طراز هذه القباب من حيث تكوينها المعمارى العام وتكوين مناطق انتقالها ، وبناء على ذلك يمكن القول أن طراز الحنايا العثمانية قد دخل إلى القاهرة فى الثلث الأخير من ق ٩ هـ / ١٥م وليس فى النصف الأول من هذا

عن مناطق الانتقال السابق الإشارة إليه .

Laila Ali Ibrahim: Op. Cit. p. 21.

(١٣٨) **Abouseif:** Four Domes of the Late Mamluk Period pp. 195 200.

القرن .

ومن المعروف أن الأمير يشبك هو الذى قاد التجاريد المملوكية إلى آسيا الصغرى (فى عهد السطان المملوكى قايتباى والسلطان العثمانى بايزيد المعاصر له) وربما أعجبه هذا الطراز الذى شاع هناك فضلاً عن أنه يعتقد أن المهندس الذى قام بتصميم هذا الطراز ليس مصرياً أحضره الأمير يشبك معه فى أحد أسفاره العديدة(١٣٩) .

وظهر هذا النوع من مناطق الانتقال بعد ذلك فى قبة الدشطوطى ٩١٢ هـ / ١٥٠٦ م وقبة على الخواص بالحسينية بداية ١٠ هـ / ١٦ م ومسجد سنان باشا فى بولاق ٩٧٩ هـ / ١٥٧٢ م ومسجد محمد بك أبو الدهب بالأزهر ١١٨٨ هـ / ١٧٧٤ م(١٤٠) .

٢ - نواصى منطقة الانتقال من الخارج :

بدأت نواصى منطقة الانتقال من الخارج بسيطة جداً فقد كانت عبارة عن نواصى مدرجة بدرجة واحدة أو مشطوفة شطفة واحدة ساعدت على تحويل المربع السفلى إلى شكل مثمن ويتضح ذلك فى جميع القباب الفاطمية والإيوبية ، أما فى العصر المملوكى بدولتيه فإنه إلى جانب النواصى المدرجة بدرجة واحدة أو مشطوفة بشطفة واحدة وجدت نواصٍ مدرجة بدرجتين أو مشطوفة شطفتين وأخرى مدرجة

(١٣٩) **سامى عبد الحليم** : الأمير يشبك من مهدى وأعماله المعمارية - ص ١٢٣ ١٢٤ .

(١٤٠) **سامى عبد الحليم** : نفس المرجع - ص ١٢٣ .

على المليجى : الطراز العثمانى فى عمائر القاهرة الدينية - ص ٣٣٢

Abousaif: Op. Cit. p. 194.

Laila Ali Ibrahim: Op. Cit. p. 21.

بثلاث درجات أو مشطوفة ثلاث شطفات وعلى الرغم من أن إضافة درجتين أو ثلاث درجات لم يحدث أى تغيير أو تطور فى وظيفة نواصى منطقة الانتقال ، فقد اقتصر استخدامهما على تحويل المربع السفلى إلى شكل مثمن تماماً مثل وظيفة الدرجة الواحدة إلا أنها بلا شك ساعدت على ارتفاع القبة عن مثيلتها من قبل ويتضح ذلك فى معظم القباب المضلعة (لوحات ٧٢ - ٩٤ ، ٩٨ - ١٠٠ ، ١٠٦) وبعض القباب الملساء (لوحات ١٣٦ ، ١٤٢) وأيضاً بعض القباب المزخرفة بأسلوب الدالات (لوحات ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٢ - ١١٣ ،

وتطورت نواصى منطقة الانتقال فى العصر الجركسى تطوراً كبيراً يمكن أن نقسمه إلى الأنواع التالية :

النوع الأول :

ويتكون من انحناءات مقعرة على شكل نصف دائرة يليها نتوءات مماثلة بشكل متوالٍ ، وقد بدأ هذا الأسلوب الجديد(١٤١) بانحناءين ونتوءين تلتحم بعدهم الاضلاع فى هيئة ثمانية لتركيب رقبة القبة ومن أمثلة ذلك نواصى منطقة انتقال قبتى خانقاه الناصر فرج بالصحراء وقبة المؤيد شيخ وقبة مدرسة برسباى بالصاغة ومدفنه بالصحراء (لوحات ١٠٨ ، ١١٠ - ١١١ ، ١٢١) وتوجد أمثلة لهذا

---

(١٤١) أطلق العلماء الأجانب على هذا الأسلوب مسميات مختلفة فمنهم من أطلق عليه اسم المجعدات والنتوءات الكثيرة .

Briggs: Op. Cit. p. 130.

ومنهم من ذكر أن هذا الأسلوب عبارة عن منحدرات بارزة (قالبية) مصقولة (ناعمة الملمس ،

Davis: Op. Cit. p. 43.

الأسلوب تتكون من انحناء واحد يليه نتوء واحد أيضاً كما هو الحال فى نواصى منطقة انتقال قبة برسباى البجاسي بالصحراء (لوحة ١١٥) وقد تطورت تلك النواصى فى قبة قايتباى بالصحراء تطوراً معمارياً وزخرفياً فأضاف المعمار للنتوءين نتوءاً آخر مجنح يسبقه انحناءً أكثر تعقيداً زاد من ارتفاع منطقة الانتقال كما زينها بالجفوت ذات الميمات على هيئة مثلثات متساوية الساقين وزين النتوءين الأول والثانى بأشكال دالات محزوزة مع تحويل شكل الحربة الخطافية التى ببداية النتوءات إلى ورقة ثلاثية يتفرع ساقاها ويلتويا على هيئة قرون الكبش الملتفة[١٤٢] (لوحة ١٢٦) .

وقد اتبع هذا الاسلوب فى نواصى منطقة انتقال قبة كل من طراباى الشريفى وسودون أمير مجلس وقرقماس وعصفور (لوحات ١١٦ - ١١٩) إلا أن أسلوب معالجتهما لا يقارن بمثيله فى نواصى منطقة انتقال قبة قايتباى السابقة ، أما قبة قانصوة ابو سعيد بالمحجر (٩٠٤ هـ / ١٤٩٩ م) فقد اكتفى فيها المعمار بنتوءين فقط وأحاطهما بجفوت ذات ميمات فى تكوينات مثلثة الشكل (لوحة ١٤٣) كذلك اتبع هذا النظام بقبة تمرباى الحسينى (بالسيدة عائشة) أوائل ق ١٠ هـ / ١٦ م ، وقد اندثرت هذه القبة ولم يبق منها سوى جزء بسيط فى الجانب الجنوبى الغربى وهو يبين أن منطقة الانتقال من الخارج كانت على هيئة انحناءات ونتوءات إلى جانب وجود النصفين السفليين لركنى هذا الجانب وبهما أجزاء من اسم السلطان قانصوه الغورى[١٤٣] .

وعند تحليلنا لنواصى منطقة الانتقال التى اتبعت هذا النظام سواء المحددة بالجفوت ذات الميمات أو غير المحددة يتبين لنا أنها تشكل هيئة

(١٤٢) **محمد مصطفى نجيب** : مدرسة الأمير كبير قرقماس - ص ٥٠٠ .
(١٤٣) نفس المرجع : ص ٥٠٠ - ٥٠١ ، (الكتالوج) (شكل ١٩٢) .

مثلث قمته لأسفل وقاعدته لأعلى أى أنها تتخذ هيئة مثلثات منطقة الانتقال من الداخل ، وقد ساعد هذا بلا شك على ثبات ورسوخ هذه المنطقة الانتقالية حتى تستطيع أن تتحمل إقامة القبة الضخمة فوقها . ويمكن القول أنه على الرغم من اختلاف التكوين المعمارى والزخرفى لهذه النواصى المتطورة إلا أنها قد اتفقت مع نظام النواصى المدرجة فى أداء وظيفتها المعمارية المتمثلة فى تحويل المربع السفلى إلى شكل مثمن أى أنها لم تحدث أى تطور ملموس فى هذه الناحية الوظيفية وإن كانت قد أعطت للقبة مظهراً جمالياً زخرفياً أخاذاً .

ويذكر بعض العلماء أن هذا الأسلوب لنواصى منطقة الانتقال قد ظهر أولاً فى نواصى منطقة انتقال المآذن لصغر حجم تربيعها السفلى وتثمينها العلوى قبل ظهوره فى نواصى مناطق انتقال القباب بفترة تزيد على نصف قرن مما يؤكد القول بأن المآذن كانت حقل تجارب فى المجالين المعمارى والزخرفى للكثير من العناصر المعمارية والزخرفية التى ظهرت على القباب فيما بعد(١٤٤) .

ويوجد أول مثال لهذه النواصى فى مئذنة بشتاك (٧٣٦هـ / ١٣٣٦م) ثم توالى ظهوره على المآذن بعد ذلك(١٤٥) إلى أن انتقل إلى القباب وكان أول مثال له فى قبتى خانقاه الناصر فرج بالصحراء كما سبق القول .

(١٤٤) **محمد مصطفى نجيب** : مدرسة الأمير كبير قرقماس – ص ٥٠٢ .
Laila Ali Ibrahim: Op. Cit. p. 15.

(١٤٥) ومن أمثلة هذه المآذن مئذنة مسجد الخضيرى (٧٣٧هـ / ١٣٣٦م) ومئذنة ايدمر البهلوان (قبل ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م) ومئذنة مسجد اسنبغا (٧٧٢هـ / ١٣٧٠م) ، وظهر فى العصر الجركسى فى مثلثين فقط هما قانيباى المحمدى (٨١٦هـ / ١٤١٣م) وتمراز الأحمدى (٨٧٦هـ / ١٤٧٢م) .
نجيب - المرجع السابق - ص ٥٠٢

النوع الثانى :

ويتكون من مثلثين قمتهما لأسفل وقاعدتهما لأعلى يحصران بينهما شكلاً هرمياً بارزاً (ناتئاً) وقد ساعد هذا التكوين الجديد لنواصى منطقة الانتقال فى تحويل المربع السفلى إلى منطقة ذات أثنى عشر ضلعاً وهذا لم يعهد فى نواصى مناطق الانتقال السابقة .

ويخالف التكوين السابق الذى يجمع بين المثلثين المنزلقين لأسفل والشكل الهرمى البارز ما ذكره (د. مصطفى نجيب) من أن هذه النواصى ما هى إلا شكل هرمى ناتىء (بارز) فقط[١٤٦] .

ويتضح هذا الأسلوب فى نواصى منطقة انتقال كل من قبة جانى بك الأشرفى بالصحراء (٨٣٥هـ / ١٤٣٢م) وقبة السبع بنات (منتصف ق ٩ هـ / ١٥) وقبة السلطان اينال (٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) والقبة المعروفة خطأ بقرقماس (ق ٩ هـ / ١٥م) وقبة ازدمر أواخر ق ٩ هـ / ١٥ م[١٤٧] وقبة جانم البهلوان ٩١٦ هـ/ـ ١٥١ م ـ(لوحات ١١٤ ، ١٢٢ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ـ ١٣٨ ، ١٤١) .

ويذكر (د. مصطفى نجيب) أن الأشكال الهرمية الناتئة إنما هى وليدة نواصى مناطق انتقال المآذن لا بمصر والشام وإنما بالأناضول فقد ظهرت بمنطقة انتقال كل من مئذنتى هفت منار[١٤٨] (٦٥١ هـ / ١٢٥٣م) بأرضروم ومئذنة مدرسة انج منار (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م)

---

(١٤٦) **محمد مصطفى نجيب** : المرجع السابق – ص ٤٨٢ – دراسة جديدة على سبيل السلطان اينال - ص ٢٨ – ٢٩ .

(١٤٧) **Creswell:** Abrief Chronology. pp. 132 – 133.

(١٤٨) عن هذه المئذنة وصورتها انظر :

Aslanaba: Op. Cit. pp. 151 - 152.

بقونية بآسيا الصغرى ثم انتقلت هذه الأشكال لمآذن القاهرة أيضاً فى عصر المماليك البحرية بعد ظهورهما بآسيا الصغرى بحوالى نصف قرن ثم استخدمت بعد ذلك فى نواصى مناطق انتقال القباب وهذا تطبيق فى مناطق لم يطرقها المعمار السلجوق وتحسب كابتكار للمعمار المملوكى(١٤٩) .

والواقع أن الأشكال الهرمية الناتئة لم يقتصر ظهورها فقط على المآذن السلجوقية (كما يذكر د. نجيب) وإنما وجدت أيضاً على القباب منذ فترة مبكرة كما هو الحال فى Kumbeti Kirmiz أو Kumbeti Surh فى أزربيجان سنة ٥٤٢ هـ / ١١٤٧م(١٥٠) وفى Kayseri, Döner Kümbet(١٥١) وغير ذلك من الأمثلة العديدة(١٥٢) .

وتتكون نواصى منطقة انتقال هاتين القبتين من مثلثين قمتهما لأسفل وقاعدتهما لأعلى يحصران بينهما شكلاً هرمياً بارزاً (وهو نفس التكوين الذى ظهر فيما بعد على القباب المملوكية التى سبق ذكرها) إلا أنه يلاحظ أن النواصى فى المثال الأول تحول المربع السفلى إلى شكل مثمن الأضلاع بينما تحوله فى المثال الثانى إلى اثنى عشر ضلعاً كما هو الحال فى نواصى مناطق الانتقال المملوكية السابقة التى اتبعت هذا الأسلوب .

(١٤٩) **مصطفى نجيب** : دراسة جديدة على سبيل السلطان اينال – ص ٢٧ – ٢٨ .

(١٥٠) **Aslanaba:** Op. Cit. pp. 80 – 81.

(١٥١) **Ibid.** p. 165.

لم يحدد (اصلا نابا) تاريخاً لبناء هذه القبة وعموماً فهى ترجع إلى تاريخ متأخر عن القبة الأولى .

(١٥٢) **Ibid.** pp. 162, 164, 168, 169, 199, 201.

وبناءً على ما سبق يمكن القول بأن هذا الأسلوب فى مناطق انتقال القباب المملوكية ليس من ابتكارات المعمار المملوكى لأنه ظهر قبل ذلك بفترة فى نواصى مناطق انتقال القباب فى آسيا الصغرى أى قبل ظهوره على المآذن فى آسيا الصغرى ومصر بفترة طويلة .

وتطورت هذه النواصى بعد ذلك تطوراً كبيراً فأصبحت تتكون من مستويين من الأشكال الهرمية البارزة أولهما شكل هرمى بارز يعلوه فى المستوى الثانى شكل هرمين بارزين إلى جانب وجود مثلثين قمتهما لأسفل وقاعدتهما لأعلى على جانبى كل شكل هرمى بارز ، ومن أمثلة ذلك نواصى منطقة انتقال قبة قجماس الاسحاقى (٨٨٥ – ٨٨٦هـ / ١٤٨٠ – ١٤٨١م) (لوحة ١٣٩) وقبة العادل طومانباى (٩٠٦هـ / ١٥٠١م) (لوحة ١٢٨) التى قل فيها عدد المثلثات فأصبحت خمسة ، هذا ونلاحظ أن النواصى فى قبة قجماس قد حولت المربع السفلى إلى منطقة ذات اثنا عشر ضلعاً بينما حولت المربع السفلى فى قبة طومانباى إلى منطقة ذات ستة عشر ضلعاً .

وتشبه نواصى منطقة انتقال قبة ازرمك (٩٠٩هـ / ١٥٠٤م) (لوحة ١٣١ – ١٣١ م) مثيلتها فى قبة طومانباى فى تكوينها وفى أنها تحول المربع السفلى إلى منطقة ذات ستة عشر ضلعاً .

وقد ظهر فى نواصى منطقة انتقال قبة خايربك (٩٠٨هـ / ١٥٠٢م) (لوحة ١٢٩ – ١٢٩ م) مستويان أيضاً عبارة عن شكل رباعى منحدر أو شكل معين فى المستوى الأول يمتد لبداية وسط المستوى الثانى الذى يوجد به شكلى هرمين بارزين[١٥٣] .

---

(١٥٣) **محمد مصطفى نجيب** : مدرسة خاير بك (رسالة ماجستير غير منشورة)

وتشبه المثلثات الأربعة التى تحيط بجانبى كل من الشكلين الهرميين مثيلاتها فى نواصى قبة (قجماس الاسحاق) من حيث أنها تحول المربع السفلى إلى منطقة ذات اثنى عشر ضلعاً إلا أن نواصى قبة (خايربك) تختلف عنها من حيث صغر حجم الشكلين الهرمين وأيضاً فى وجود الشكل الرباعى المنحدر أو الشكل المعين الذى يوجد بدلاً منه شكل هرمى بارز فى قبة قجماس .

وحدث تطور آخر فى نواصى منطقة انتقال قبة كل من قانيباى الرماح أمير آخور (٩٠٨ هـ / ١٥٠٢م) (لوحة ١٣٠ - ١٣٠م) والغورى (٩٠٩ - ٩١٠ هـ / ١٥٠٣ - ١٥٠٤م) (لوحة ١٤٤) وقبة بيبرس الخياط (٩٢١ هـ / ١٥١٥م) (لوحة ١٢٠) ويتمثل هذا التطور فى وجود امتدادين رشيقين يحصران بينهما اخدوداً قليل الغور فى المستوى الأول بينما ظل المستوى الثانى كما هو يتكون من شكلين هرميين بارزين(١٥٤) .

وقد قامت هذه النواصى بتحويل المربع السفلى إلى منطقة ذات ستة عشر ضلعاً ، وتمثل قبة قانصوه أبو سعيد بالصحراء (٩٠٤ هـ / ١٤٩٩م) (لوحة ١٣٥) آخر مراحل تطور هذه النواصى (على الرغم من أنها تسبق تاريخياً الأمثلة السابقة) حيث تتكون من ثلاث مستويات من الأشكال الهرمية البارزة تبدأ بشكل هرمى بارز فى المستوى الأول يليه شكلان فى المستوى الثانى وثلاث أشكال هرمية بارزة فى المستوى الثالث إلى جانب وجود المثلثات الصغيرة الحجم على جانبى الأشكال الهرمية ، وقد ساعد تعدد الأشكال الهرمية فى نواصى

ص ٤١ ، دراسة جديدة على سبيل السلطان اينال - ص ٣٠

(١٥٤) **محمد مصطفى نجيب** : دراسة جديدة على سبيل السلطان اينال ص ٣١ .

هذه القبة على تحويل المربع السفلى إلى منطقة ذات عشرون ضلعاً وهذا لم يعهد من قبل .

النوع الثالث :

ويتكون من أربع مثلثات قمتها لأسفل وقاعدتها لأعلى بواقع مثلث بكل ركن من الأركان ، وتخلو هذه المثلثات الأربعة من الأشكال الهرمية البارزة ، ويتضح ذلك فى نواصى قبة أبو العلا ببولاق (٨٩٠هـ / ١٤٨٥م) (لوحة ١٤٠) وقد قامت هذه المثلثات بتحويل المربع السفلى إلى منطقة ذات اثنى عشر ضلعاً .

مما سبق يمكن القول بأن نواصى منطقة الانتقال قد تطورت تطوراً كبيراً فى عصر المماليك الجراكسة وقامت بدورها الوظيفى فى تحويل المربع السفلى للقبة إلى شكل مثمن الأضلاع أو ذى اثنا عشر ضلعاً أو ستة عشر ضلعاً أو عشرين ضلعاً كما قامت بدورها الجمالى فى إكساب القبة مظهراً جمالياً مميزاً لا نجده فى القباب ذات النواصى المدرجة من الخارج .

٣ - أواسط منطقة الانتقال :

ارتبط تطور الفتحات التى تشغل أواسط منطقة الانتقال بتطور منطقة الانتقال ذاتها فعندما كانت منطقة الانتقال فى القباب الأولى مجرد حنية ركنية كبيرة معقودة بعقد مدبب كانت الفتحات فيما بينها كذلك ، كما هو الحال فى القباب السبع والجيوشى والحافظ بالأزهر وأخوة يوسف والحصواتى (لوحات ٢ - ٤)

ولما تطورت منطقة الانتقال فى الثلث الأخير من ق ٥هـ / ١١م تطورت تلك الفتحات أيضاً وأصبحت على هيئة عقد ثلاثى مفتوح بالكامل كما هو الحال فى الشيخ يونس وعاتكة والجعفرى والسيدة رقية

ريحى الشبيه وقبة قوص (لوحات ٥ ـ ١٠ ، ٧٢ ٧٤) .

واستمرت الفتحات الثلاثية أيضاً فى أواسط منطقة انتقال بعض القباب الأيوبية إلا أنها أصبحت معقودة بعقد منكسر لتتناسب مع هيئة عقد حنايا منطقة الانتقال نفسها كما هو الحال فى قبة الخلفاء العباسيين وقبة شجر الدر (لوحات ١٤ - ١٥) .

وتتكون فتحات قبة الإمام الشافعى من ثلاث فتحات سفلية تعلوها اثنتان ويرجع ذلك لطول ضلع منطقة الانتقال وارتفاعها لا لشيء آخر(١٥٥) .

وتتكون فتحات قبة الصالح نجم الدين أيوب (لوحة ١٦) من ثلاث فتحات سفلية تعلوها اثنتان فواحدة فى تكوين هندسى رائع وكل فتحة من هذه الفتحات الست معقودة بعقد منكسر .

أما فى العصر المملوكى فقد تراوح عدد الفتحات التى تشغل أواسط منطقة الانتقال بين ثلاث فتحات وست فتحات معقودة بعقد منكسر ويتضح ذلك فى القباب التى اتبعت مناطق انتقالها النظام القديم (لوحات ١٧ - ٣٩) إلا أنه حدث فى بعض الأحيان أن وضعت الفتحات الثلاثية من الخارج داخل دخلة معقودة بعقد حدوة الفرس يرتكز على عمودين مدمجين إلا أنهما غير موجودين أحياناً ومن أمثلة ذلك قبة على بدر القرافى وسنقر السعدى والقمارى وأبو اليوسفين (لوحات ٧٠ ، ٨٠ ، ٨٤ - ٨٥) ويذكر (كريزول) أن هذه الظاهره وجدت أولاً فى مبانى عصر السلطان المنصور قلاوون حيث نجدها فى ضريحه وضريح فاطمة خاتون

---

(١٥٥) **محمد مصطفى نجيب** مدرسه الأمير كبير قرقماس ص ٤٩٥ حاشية ٣

وضريح الأشرف خليل بن قلاوون[١٥٦] .

وظهر إلى جانب هذا الأسلوب التقليدى لفتحات أواسط منطقة الانتقال أسلوب آخر متطور يتناسب مع الأسلوب المتطور لمناطق الانتقال نفسها وتمثل هذا الأسلوب أولاً فى مدفن فاطمة خاتون (لوحة ٤٣) (٦٨٢ - ٦٨٣ م / ١٢٨٣ - ١٢٨٤ م) ومدفن قلاوون (٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) حيث توجد نافذتان متجاورتان يرتكز عقداهما على عمود أوسط ويعلوهما فتحة مستديرة ، وقد يعلو العقدين والفتحة المستديرة العليا إطار منبعج على شكل عقد ثلاثى مفصص كما فى قبة فاطمة خاتون ، وتعد هذه النوافذ (التوأم) المزدوجة واحدة من تأثيرات الغرب الإسلامى على العمارة المملوكية[١٥٧] .

وقد أطلقت الوثائق على الأسلوب المتطور للفتحات التى تشغل أواسط منطقة الانتقال اسم القمريات[١٥٨] أو القندليات[١٥٩] .

---

(١٥٦) **Creswell:** Abrief Chronology. p. 96.

(١٥٧) **Shefei (F):** West Islamic Influences on Architecture in Egypt. p. 33.

السيد عبد العزيز سالم : بعض التأثيرات الأندلسية فى العمارة المصرية الإسلامية (المجلة - العدد ١٢ - ديسمبر ١٩٥٧) - ص ٩٧ .

(١٥٨) القمريات ومفردها قمرية وهو المصطلح السائد استعماله فى وثائق العصر المملوكى وهى شبابيك من الجص المخرم أو الحجر أو الخشب أحياناً توضع فى اشناد ومفردها شند وهى الفتحة التى توضع فى حوائط المبنى لتوضع القمرية بها وكانت هذه الفتحة تغطى من الخارج بشريط أو شبكة من النحاس والقمرية إما مستديرة مدورة أو مستطيلة مطاولة مقطرة على حد تعبير بعض الوثائق .

عبد اللطيف إبراهيم : الوثائق فى خدمة الآثار - ص ٤٣٧ - حاشية ٢ ، ص ٤٥٤ حاشية ٢

(١٥٩) ويقصد بها المجموعة من القمريات وتسمى مسدليه أو مسدلون .

عبد اللطيف إبراهيم : نفس المرجع - ص ٤٥٤ - حاشية ٢ .

ويمكن تقسيم القمريات أو القندليات التى شغلت أواسط مناطق الانتقال المتطورة إلى ثلاثة أنواع رئيسية :

النوع الأول :

ويتكون من قمرية واحدة مطاولة وتكون عبارة عن فتحة مستطيلة مقنطرة أى معقود بعقد مدبب أو نصف دائرى كما هو الحال فى قمريات قبة محمود الاستادار (الكردى) وجوهر القنقبائى بالأزهر وقبة قراقجا الحسنى (السادات الشناهره) التى تبدو من الداخل على هيئة قمرية مطاولة أما من الخارج فعبارة عن قندلية بسيطة ، وقد اتضح هذا الوضع الأخير فى كثير من القباب المملوكية .

النوع الثانى :

وهو عبارة عن قندلية بسيطة وتتكون من قمريتين مطاولتين متجاورتين تعلوهما قمرية مستديرة لوحات (٤٢ ، ٥٠ - ٥٠ م ، ٥٣ - ٥٥ ، ٦٠) وفى بعض الأحيان لا توجد القمرية المستديرة كما هو الحال فى قبة تنكزبغا بقرافة السيوطى (لوحة ٤١) وقبته فى منشية ناصر (لوحة ٩١) .

النوع الثالث :

وهو عبارة عن قندلية مركبة وتتكون من ثلاث قمريات مطاولة تعلوها ثلاث قمريات مستديرة تشكل هيئة مثلث قمته لأعلى وقاعدته لأسفل لوحات (٥١ - ٥٤ ، ٥٨ - ٥٩ ، ٦١) .

ويذكر (د. نجيب) أن استعمال القندليات البسيطة المركبة ارتبط بارتفاع وامتداد منطقة الانتقال فإن كانت أكثر ارتفاعاً وامتداداً استعمل التكوين المركب وإن كانت أقل وأقصر استعمل التكوين

البسيط[١٦٠] .

وعلى الرغم من شيوع هذا النظام وانتشاره إلا أنه حدث فى أحيان قليلة جداً أن خلت أواسط منطقة الانتقال من وجود أى نوع من أنواع الفتحات السابقة كما هو الحال فى قبتى التربة السلطانية ويونس الدودار (بباب الوزير) وقبة حمام المؤيد شيخ وقبة أولاد السلطان قايتباى (قبة الكَلشنى) وقبة الشيخ عبد الله المنوفى (حوالى ٧٨٩هـ/ ١٤٧٤م) (لوحات ٤٥ ، ٤٧م ، ٤٩ ، ٥٦ - ٥٧) .

وشغلت أواسط منطقة الانتقال فى احيان أخرى بأربع قمريات مستديرة كما هو الحال فى قبة المدفن الملحق بالمدرسة الاقبغاوية بالأزهر .

ويحسن بنا أن نذكر أن الفتحات التى تشغل أواسط منطقة الانتقال بأنواعها التى سبقت الإشارة إليها تكون فى أغلب الأحيان من الجص المخرم المعشق بالزجاج الملون وتحتوى على زخارف نباتية وهندسية وكتابية وكذلك أنواع من العمائر والتحف التطبيقية الإسلامية كالمنابر .

رابعاً : الرقبة والقبة :

١ - الرقبــة :

على الرغم من أن القباب الفاطمية لا تحتوى غالباً على رقاب بأعلى منطقة الانتقال تستقر القبة عليها (لوحات ٧٢ - ٧٤) إلا أنه وجدت فى بعض هذه القباب رقاب مثمنة فتح بها إما ثمانية

---

(١٦٠) **محمد مصطفى نجيب** : مدرسة الأمير كبير قرقماس - ص ٤٩٨ .

نوافذ ثلاثية الفتحات تكون على شكل المشكاة كما هو الحال فى رقبة قبة الشيخ يونس (لوحة ٥) أو ست عشر نافذة تكون على شكل المشكاة أيضاً كما هو الحال فى رقبة قبة السيدة رقية (لوحة ٨م ، ٧٣) وقد فتح فى رقاب القباب الأيوبية ثمانى نوافذ معقودة بعقد منكسر كما هو الحال فى قبة شجر الدر (لوحة ١٥) أما قبة الخلفاء العباسيين فلا تحتوى على رقبة بأسفلها (لوحة ١٤) .

وقد فتح فى رقاب القباب المملوكية أيضاً نوافذ كثيرة معقودة بعقد منكسر أو عقد نصف دائرى تبادلت بين الفتح والغلق يترواح عددها (كما يذكر دللى ونجيب) بين ثمانية إذا كانت القبة صغيرة وست عشرة إذا كانت القبة كبيرة .

والواقع أن فتحات نوافذ الرقاب فى قباب العصر المملوكى لم تتبع نظاماً واحداً من حيث عددها وأيضاً من حيث توزيعها ومن ثم يمكن تقسيمها على النحو التالى :

١ – تحتوى بعض رقاب القباب على أربع فتحات لنوافذ معقودة بعقد منكسر بواقع فتحة بأعلى فتحات أواسط منطقة الانتقال وفيما بينها اثنا عشر فتحة معقودة بعقد منكسر أيضاً ولكنها مسدودة بواقع ثلاث فتحات بأعلى كل ركن من أركان منطقة الانتقال ويتضح ذلك فى رقبة قبة خديجة أم الأشرف بالصحراء (لوحة ٢٥) . .

٢ – تحتوى بعض رقاب القباب على ثمان فتحات لنوافذ معقودة بعقد منكسر ومن أمثلتها رقبة قبة كل من أحمد بن سليمان

(١٦١) **دللى** : العمارة العربية بمصر – ص ١٠ .
محمد مصطفى نجيب : مدرسة الأمير كبير قرقماس – ص ٥٠٦ .

الرفاعى (إلا أنها مسدودة) وقبة خوند طولبية (لوحة ٩٦) وقبة يونس الداودار « أنس »[١٦٢] (لوحة ٢٣) .

٣ تحتوى بعض الرقاب أيضاً على ثمانى نوافذ أيضاً ولكنها معقودة بعقد (نصف دائرى) كما هو الحال فى رقبة قبة يونس الدوادار (بباب الوزير) (لوحة ٤٧ - ٤٧م) وأولاد قايتباى (الكلشنى) (لوحة ٥٦) وأزرمك (لوحة ٦٠) وعصفور (لوحة ٥٩) .

٤ تحتوى بعض الرقاب على ثمانى نوافذ مفتوحة معقودة بعقد منكسر وفيما بينها ثمانية أخرى مسدودة (مضاهية) معقودة بنفس العقد ويتضح ذلك فى القبة الأولى فى ايدكين البنداقدارى (لوحة ١٧) وقبة الصوابى (لوحة ١٨) والقبة الحجرية الثالثة فى منشأة سلاروسنجر (لوحة ٢٠) وقبة صفى الدين جوهر (لوحة ٢١) والقبة المعروفة بالمنوفى فى قرافة السيوطى (لوحة ٤٤) إلا أن عقود فتحاتها مدببة .

٥ - تحتوى بعض الرقاب أيضاً على ثمان نوافذ مفتوحة معقودة بعقد منكسر وفيما بينها ست عشرة نافذة أخرى مسدودة (مضاهية) معقودة بنفس العقد كما هو الحال فى رقبة قبة حسام الدين طرنطاى وقبة ميضأة ابن طولون وسنقر السعدى وكزل (كركر) (لوحات ٢٤ ، ٣٢ ، ٣٣) .

(١٦٢) يوجد برقبة قبة يونس الدوادار من الخارج ثمانى نوافذ مفتوحة معقودة بعقد منكسر وثمانية أخرى معقودة بنفس العقد إلا أنها مسدودة (مضاهية)

٦ - تحتوى بعض الرقاب على اثنى عشرة نافذة مفتوحة معقودة بعقد منكسر وفيما بينها ثمانى نوافذ مسدودة (مضاهية) معقودة بنفس العقد كما هو الحال فى رقبة قبة خوند طغاى أم أنوك (لوحة ٢٩) أما رقبة القبة الجنوبية فى خانقاه الناصر فرج فتحتوى على ١٢ نافذة مفتوحة فيما بينها ست وثلاثين فتحة مسدودة .

٧ - تحتوى بعض الرقاب على اثنى عشرة نافذة مفتوحة معقودة بعقد نصف دائرى فيما بينها إما اثنى عشرة نافذة مسدودة كما هو الحال فى رقبة قبة نصر الله (لوحة ٣٤) أو أربع وعشرون نافذة مسدودة كما هو الحال فى رقبة قبة جانى بك الأشرفى وبرسباى البجاسى (لوحات ٥٠ ، ٥٣) .

٨ - تحتوى بعض الرقاب على ست عشرة نافذة معقودة كما هو الحال فى القبة الأولى على يمين إيوان التربة السلطانية (لوحة ٤٥) وقبة أولجاى اليوسفى والقبة المعروفة بالسبع بنات بالصحراء (لوحة ٥٤) وقبة مدفن السلطان قايتباى بالصحراء وقبة سودون أمير مجلس وقبة الزمر وقبة خايربك ، أما رقبة قبة خانقاه الناصر فرج الشرقية فتحتوى على ست عشرة نافذة مفتوحة أيضاً فيما بينها اثنان وثلاثون فتحة مسدودة (مضاهية) .

٩ - تحتوى بعض الرقاب على عشرين نافذة مفتوحة معقودة بعقد منكسر كما هو الحال فى قبة زين الدين يوسف وسلار والقبة الثانية على يسار إيوان التربة السلطانية (لوحة ٤٦) إلا أنها معقوده بعقد نصف دائرى وكذلك قبة المؤيد شيخ .

١٠ - تحتوى بعض الرقاب على أربع وعشرين نافذة مفتوحة معقودة بعقد منكسر كما هو الحال فى القبة الثانية فى ايدكين البندقدارى وقراسنقر وسنجر الجاولى (لوحات ٣٠ ، ٣٥ ، ٣٧) .

وبناء على ما سبق يمكن القول بأن عدد فتحات النوافذ فى رقاب القباب المملوكية تتراوح ما بين أربع فتحات أو ثمانى فتحات أو اثنى عشرة فتحة ، أو ستة عشرة فتحة أو عشرين فتحة أو أربع وعشرين فتحة أما المضاهيات (وهى فتحات مسدودة تماثل النوافذ فى هيئتها) فقد تراوح عددها ما بين ثمانى مضاهيات أو اثنا عشر مضاهية أو ست عشرة مضاهية أو أربع وعشرين مضاهية أو اثنين وثلاثين مضاهية أو ست وثلاثين مضاهية .

٢ - القبـــة :

تطورت القبة من حيث مادة بنائها وهيئة قطاعها والزخارف التى تكسوها من الداخل والخارج ، وقد بنيت القبة الفاطمية بالآجر وقطاعها نصف دائرى ومدبب قليلاً فى بعض الأحيان(١٦٣) . وأحياناً أخرى يكون مدبب من النوع ذى الأربع مراكز ومن أمثلة ذلك قبة الجيوشى والشيخ يونس وقبة قوص وبعض قباب أسوان والنموذج الأصلى لهذا النوع من القباب التى على هيئة العقود المدببة من النوع ذى الأربع مراكز نراه فى قبة جامع القيروان(١٦٤) .

واستمر الآجر مستخدماً فى بناء بعض القباب الأيوبية مثل الخلفاء العباسيين وشجر الدر والصالح نجم الدين أيوب ، وأصبح قطاع القبة

---

(١٦٣) **محمد مصطفى نجيب** مدرسة الأمير كبير قرقماس ص ٥٠٣

(١٦٤) **Shafei:** West Islamic Influences. pp. 11 15.

على هيئة عقد مدبب من النوع ذى الأربع مراكز فى قبة الخلفاء العباسيين(١٦٥) . أو على هيئة عقد منكسر كما فى شجز الدر ، أما قبة الصالح نجم الدين أيوب فقد زاد فيها بوضوح تدبب العقد الستينى(١٦٦) .

واستخدم الخشب إلى جانب الآجر أيضاً ويتضح ذلك فى قبة الإمام الشافعى(١٦٧) واستمر استخدامه أيضاً فى بعض القباب المملوكية كما هو الحال فى قبة محراب جامع الظاهر بيبرس البندقدارى(١٦٨) وقبة مدرسة الناصر محمد بالنحاسين وقبة محراب مسجد الناصر محمد بالقلعة وقبة محراب مسجد المارداني والقبة الأصلية فى السلطان حسن (قبل إعادة بنائها) والقبة الأصلية فى مدرسة برقوق بالنحاسين (قبل إعادة بنائها) وقبة محراب مسجدى

(١٦٥) Ibid. p. 30.

(١٦٦) **محمد مصطفى نجيب** : المرجع السابق - ص ٥٠٤ .

(١٦٧) **Devonshire:** Some Cairo Masques and their Founders. p. 48.

هذا ولا يعتقد (د. فريد شافعى) أنها هى القبة الأصلية التى شيدت مع البناء ٦٠٨هـ / ١٢١١م) لأن سمك الجدران التى تحملها يصل إلى نحو ٢,٥٠م . مما يرجح ن تكون القبة الأصلية قد شيدت بالأجر حسب أسلوب البناء الذى كان سائداً فى العصر الفاطمى والأيوبى وأول المملوكى .

فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الإسلامية - ص ١٩٩ .

(١٦٨) كانت هذه القبة على قدر قبة الإمام الشافعى .

المقريزى : الخطط - جـ ٢ - ص ٣٠٠ .

ويذكر كريزول أنها مستمدة من تخطيط مسجد ميافارقين المعروف بمسجد صلاح الدين .

Creswell: The works of Sultan Bibars in Egypt. (Le Caire 1926). pp. 170 - 173. Fig. 10.

بينما يذكر (Bloom) أنها مستمدة من قباب الجوامع فى المساجد السلجوقية فى إيران

Bloom: The Mosque of Baybars pp 68 70.

زين الدين يحيى بالحبانية وبولاق(١٦٩) .

وظل الآجر مستخدماً فى بناء غالبية القباب فى عصر المماليك البحرية فيما عدا أمثلة قليلة استخدم فيها الحجر خلال ق ٨ هـ / ١٤ م ومن أمثلتها القبة الحجرية الثالثة بمنشأة سلار وسنجر ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م وهى صغيرة الحجم تكاد لا ترى بالنسبه للقبتين الضخمتين المجاورتين لها المبنيتين بالآجر ، ويلى ذلك قبة سنجر المظفر ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢ م وقبة تنكزبغا ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ وقبة أم السلطان شعبان ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م وقبة أولجاى اليوسفى ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م وقبة أيتمش البجاسى ٧٨٥ هـ / ١٧٨٣ م وقبة محمود الاستادار (الكردى) ٧٩٧ هـ / ١٣٩٤(١٧٠) .

(١٦٩) **حسن عبد الوهاب** : تاريخ المساجد الأثرية – ص ١١٠ ، ١٦٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ .

صالح لمعى : التراث المعمارى الإسلامى فى مصر – ص ١٠٥ – ١٠٦ .

ليلى شافعى : منشآت القاضى يحيى زين الدين بالقاهرة – ص ٢٥٠ .

(١٧٠) **يوسف أحمد** : جامع أحمد بن طولون (المحاضرات الأثرية – ١٩١٧ م) ص ٣٦ .

حسن عبد الوهاب : العمارة الإسلامية – البناء بالطوب فى العصر الإسلامى (مجلة العمارة – العدد ٣ ، ٤ – المجلد الثانى ١٩٤٠ م) – ص ٢٢٦ – ٢٢٧ . تاريخ المساجد الأثرية – ص ١٢٨ – ١٢٩ .

صالح لمعى : التراث المعمارى الإسلامى فى مصر – ص ١٠٢ – ١٠٣ .

ويمكن القول أن وجود هذه النماذج من القباب الحجرية يصحح ما ذكره بعض العلماء الأجانب من أن قباب خانقاه الناصر فرج بن برقوق بالصحراء هى اول قباب تبنى بالحجر فى مصر ومن هؤلاء :

مكس هرتس : فهرس مقتنيات دار الآثار العربية ولمعة فى تاريخ فن المعمار – ترجمة على بهجت – القاهرة ١٩٠٩ م – ص ٦١

Briggs: Op. Cit. p. 196.

Devonshire: Eighty Mosques and Other Islamic Monuments. p. 42.

Ramples in Cairo – p. 56.

وقد شاع بناء القباب بالحجارة خلال ق ٩ - ١٠هـ / ١٥ - ١٦م فيما عدا أمثلة نادرة جداً استخدم فيها الآجر فى بناء القباب كما هو الحال فى قبة معبد الرفاعى بالصحراء والقبة الفداوية وقبة قجماس الاسحاق وقبة أبو العلا ببولاق[١٧١] (لوحات ١٣٩ - ١٤٠) .

مما لاشك فيه أن شيوع بناء القباب بالحجارة قد ساعد على زيادة الإثراء الزخرفى للقبة كما ساعد أيضاً على اتقان نسبها من حيث زيادة ارتفاعها بالنسبة إلى عرضها[١٧٢] .

ولم يخرج قطاع هذه القباب عن القطاع المدبب الذى يقارب الشكل البصلى فى قمتها وانتفاخ بدنها[١٧٣] .

وعرفت فى عصر المماليك أيضاً القباب ذات المناور أو الجواسق ويتضح ذلك فى القبة المعروفة بقبة المنوفى فى قرافة السيوطى (لوحة ١٣٦)، حيث توجد قبة صغيرة مضلعة بأعلى القبة الكبيرة وبذلك يكون مهندسها قد سبق عصر برونلسكى ١٤٢٠م الذى نسب إليه فى وقت ما اختراع هذا النوع من القباب فى مدينة البندقية[١٧٤] .

(١٧١) **حسن عبد الوهاب** : تاريخ المساجد الآثرية - ص ٢٦٥ ، ٢٧٧ .
محمد عبد الستار : نظرية الوظيفية - ص ٤٠٤ .
سوسن سليمان : منشأة الأمير قجماس الاسحاق - ص ١٧٨ .
(١٧٢) **دللى** : العمارة العربية فى مصر - ص ٩ .
(١٧٣) **محمد مصطفى نجيب** : مدرسة الأمير كبير قرقماس - ص ٥٠٦ .
(١٧٤) **حسن عبد الوهاب** : العمارة الإسلامية دولة المماليك البحرية - (مجلة العمارة - العدد ١ ، ٢ - المجلد الرابع ١٩٤٢م) - ص ٦١ .
التأثيرات المعمارية بين سوريا ومصر - ص ١٠١ - ١٠٢ .
زكى حسن : **فنون الإسلام - ص ١٥٣** =

وظهر أيضاً فى العصر المملوكى نوع من القباب يعرف بالقباب السمرقندية ومن أمثلتها قبة مدفن صرغتمش(١٧٥) وقبتى التربة السلطانية (لوحة ٩٥) وقبة يونس الدوادار بباب الوزير(١٧٦) (لوحة ١٠٣) .

وتشبه هذه الأمثلة القباب السمرقندية ومن أمثلتها قبة تيمورلنك ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م المعروفة بجور أمير بسمرقند(١٧٧) (لوحة ١٠٢) .

وتمتاز القباب السمرقندية برقبتها الطويلة التى يقل قطرها عن قطر البدن نفسه ويبدأ تكوير القبة من الداخل ابتداءً من عقد شباك الرقبة بينما يبدأ من الخارج على مسافة كبيرة من عتب الشباك

ويذكر المرحوم (حسن عبد الوهاب) أن خان أسعد باشا العظم بدمشق (١١٦٦هـ / ١٧٥٢م) به قباب ذات مناور .

حسن عبد الوهاب : التأثيرات المعمارية بين سوريا ومصر – ص ١٠١ .

(١٧٥) تذكر (د. سعاد ماهر) أن هذه القبة تمتاز بظاهرة يندر وجودها فى عمائر القاهرة وهى احتواؤها على قبة مزدوجة البناء ، قبة داخلية قطاعها شبه دائرى وتقوم على رقبة متوسطة الارتفاع وقبة خارجية ذات قطاع مدبب وتقوم على رقبة ممتدة الارتفاع بحيث أنها تبدأ فى منتصف النوافذ .

سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون – جـ ٣ – ص ٢٧٢ – لوحة ٢٤٠ .

(١٧٦) **محمود أحمد** : مدرسة صرغتمش (مجلة الهندسة – السنة ١٤ – العدد الأول - ١٩٣٤م) – ص ٨ - ٩ .

حسن قاسم : جامع صرغتمش الناصرى (هدى الإسلام – السنة الثامنة – العدد الأول - ١٩٤١م) - ص ١٣١ .

حسن القصاص : مدرسة صرغتمش (رسالة ماجستير غير منشورة - جامعة القاهرة ١٩٧٣م) – ص ١١٩ – ١٢٠ .

(١٧٧) **Meinacke (M):** Mamluk Architecture (Damashus, 1985). p. 175.

المذكور[١٧٨] .

وقد اختلف العلماء بشأن هذا النوع من القباب فمنهم من ذكر أن شيوعه فى بلاد المغول قبل شيوعه فى مصر يؤكد أن هذا الطراز نقل من هناك إلى هنا[١٧٩] ومنهم من ذكر أن خصوبة مصر ورغد العيش فيها ثم بعدها عن أخطار المغول جعل منها خير ملجأ يتوفر فيها الأمن والعيش فهاجر إليها كثير من مسلمى الفرس وعرب العراق والشام فى ق ٧ هـ / ١٣ م مما جعل تأثيرات معمارية وزخرفية تظهر فى مصر فى ذلك القرن والذى يليه ومن أمثلة ذلك النهايات العليا من النوع البصلى لمئذنتى جامع الناصر محمد بالقلعة ٧٣٥ هـ / ١٣٣٥ م وهو الشكل الذى نراه فى بعض القباب التى شيدت فى ذلك العهد مثل قبتى التربة السلطانية[١٨٠] .

ومما يؤكد هجرة المعماريين والفنانين ما ذكر من أن مهندس خانقاه بيبرس الجاشنكير كان تترياً[١٨١] كما قام معمار تبريزى ببناء منارتى مسجد قوصون على مثال منارة جوهر على شاه فى تبريز وزير الملك المغولى الفارسى أبو سعيد[١٨٢] .

ويذكر (بريجز) أن هذا النوع من القباب كان هو الشكل المفضل فى بلاد التركستان وفارس وميزو بوتاميا (بلاد ما بين النهرين) ثم

(١٧٨) **زكى حسن** : فنون الإسلام – ص ١٥٤ .
حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الآثرية – ص ١٦٣ .
(١٧٩) **محمود أحمد** : المرجع السابق – ص ٨ .
(١٨٠) **فريد شافعى** : العمارة العربية فى مصر الإسلامية – ص ٢٨٠ .
(١٨١) **محمود أحمد** : مدرسة صرغتمش – ص ٨ – ٩ .
(١٨٢) **Lone – Pool:** Art of the Saracens in Egypt. p. 236.; **Margoliouth:** Cairo. p. 90.

انتقل إلى مصر(١٨٣) .

والواقع أنه حدثت روابط عديدة بين المماليك والمغول سواء مغول فارس أو مغول القفجاق (القبيلة الذهبية) الذين استقروا شمالى البحر الأسود وشرقيه وهى روابط اتخذت شكل مصاهرات وتبادل البعثات الدبلوماسية والهدايا وعقد الاتفاقات بين الطرفين وكانت الفترة النشطة لهذه العلاقات فى عهود السلطان الظاهر بيبرس ثم سلاطين أسرة قلاوون وخاصة السلطان الناصر محمد بن قلاوون(١٨٤) .

ويمكن القول أن اعتناق مغول القفجاق للديانة الإسلامية قد أوقعهم فى عداء شديد مع مغول فارس والعراق الأمر الذى ترتب عليه نوع من التقارب والتحالف بينهم وبين السلطنة المملوكية وإن كان هذا الأمر لم يمنع وجود روابط وثيقة أيضاً بين السلطنة المملوكية وبين مغول فارس .

ومما لا شك فيه أن وجود هذه الروابط قد ساعد على تبادل التأثيرات المعمارية والفنية بين البلاطين المغولى والمملوكى يؤكد ذلك أمرين :

(١٨٣) **Briggs:** Op. Cit. p. 197.

(١٨٤) تحدث عن هذه العلاقات بعض العلماء والباحثين وأفردوا لها صفحات كثيرة فى بحوثهم ودراساتهم ومن هؤلاء :

على إبراهيم حسن : تاريخ المماليك البحرية – ص ١٤٠ – ١٦٩ . ،

سعيد عاشور : الظاهر بيبرس (أعلام العرب – العدد ١٤ – القاهرة ١٩٦٣م) ص ٨٨ - ١٠٠ . العصر المماليكى فى مصر والشام – ص ٢٢٦ – ٢٢٩ .

فايد حماد عاشور : العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ١٩٧٦م – ص ٢٠٥ ، ٢١٨ .

حياة ناصر الحجى : العلاقات بين دولة المماليك ودولة مغول القفجاق . (حوليات كلية الآداب الكويت الحولية ٢ – ١٩٨١م) – ص ١٠ – ٤٤ .

١ - ما ذكره المقريزى فى حوادث ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م من أن السلطان المنصور قلاوون جهز « هدية سنية،إلى بريركة ومبلغ ألفى دينار برسم عمارة جامع قرم وأن تكتب عليه ألقاب السلطان وجهز حجار لنقش ذلك وكتابتها بالأصباغ(١٨٥) . ويدل هذا النص على انتقال التأثيرات المملوكية إلى العمارة المغولية فى آسيا الصغرى .

٢ - انتقال الكثير من العناصر المعمارية والزخرفية الآسيوية إلى القاهرة المملوكية وتزدان الفنون التطبيقية والعمارة المملوكية بالكثير من هذه العناصر مما يؤكد وجودها .

الأهلة بأعلى القباب :

يعلو كل القباب تقريباً أهلة من النحاس ترتفع على قائم ذى انتفاخات كروية وكمثرية مثبتة بقمة القبة ، وقد ذكر (د. مصطفى نجيب) أن اتجاه قوسى الهلال يكونا ناحية كل من الشمال والجنوب المغناطيسى وقد اندثرت غالبية تلك الأهلة نظراً لعدم قدرتها على مقاومة التقلبات الجوية العنيفة فى بعض الأحيان فقامت لجنة حفظ الآثار العربية بتركيب أهلة جديدة للكثير من القباب ومن ثم اتخذت بعض الأهلة أوضاع أخرى تخالف الوضع السابق المشار إليه(١٨٦) .

أما (د. صالح لمعى) فيذكر أن وضع هذه الأهلة يكون موازياً لاتجاه القبلة وقد رجح أن استعمال الهلال فى العمارة الإسلامية

(١٨٥) **المقريزى** : السلوك - جـ ١ - ق ٣ - ٧٣٨ .
حياة الحجى : العلاقات بين دولة المماليك ودولة مغول القفجاق - ص ١٥ .
(١٨٦) **محمد مصطفى نجيب** : مدرسة الأمير كبير قرقماس - ص ٥٠٧ - حاشية ٢ .

إنما يرجع إلى أن التوقيت الإسلامى يعتمد على الأشهر القمرية ، وإلى أن الهلال عندما يظهر فى أول الشهر العربى ينير الأرض مبدداً الظلام الذى سادها عندما كان القمر فى المحاق وقد يكون استعمال الهلال تعبيراً عن ظهور الإسلام الذى بدد الظلمات الجاهلية وحطم الشرك بالله ، كما أن وجود الهلال فى مبنى ذى أهمية إسلامية عظيمة مثل قبة الصخرة يجعله يصبح ضمن المفهوم العام للإسلام(١٨٧) .

أما عن النسب المعمارية الخاصة بالرقبة والقبة فى العصر المملوكى الجركسى فيذكر (د. على غالب) ما يلى :

١ - أن ارتفاع القبة والرقبة معاً بالنسبة للارتفاع من منسوب الأرض حتى نهاية منطقة الانتقال يساوى ١ : ١,٦١٨ (مثل جانى بك الاشرفى ، برسباى البجاسى واذدمر) أو يساوى ٣ : ٥ (مثل السبع بنات) أو يساوى ١ : (٢ × ١,٦١٨) (مثل نصر الله) أو يساوى ١ : ١,٦١٨ بالنسبة لارتفاع الجزء السفلى حتى بداية منطقة الانتقال من الخارج مثل (ازرمك) أو يساوى ١ : ١,٦١٨ بالنسبة للارتفاع من بداية منطقة الانتقال حتى قمة القبة (مثل عصفور) .

٢ - أن سمك حوائط الرقبة والقبة يساوى ربع سمك حوائط الجزء السفلى (مثل جانى بك الأشرفى ، السبع بنات وازرمك) أو يساوى ثلث سمك حوائط الجزء السفلى (مثل نصر الله ، برسباى البجاسى عصفور واذدمر)(١٨٨) .

---

(١٨٧) صالح لمعى مصطفى - القباب - ص ١١ - ١٣ .

(١٨٨) على غالب : قباب القاهرة فى عصر المماليك الشراكسة - ص ١٤ .